19me, année No 946
Le Caire 20 — 8 — 1951

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٤٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٧٠ — ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥١ » — السنة التاسعة عشرة

تغيـــير . . .

أخذت مصر فى عهدها الأخير تغير ما بنفسها ليغير الله ما بها كما قال عز قوله فى كتابه الخالد. وأصدق الأدلة على هذا التغير ما تراه من القلق على كل وجه، وما نسمعه من السخط على كل لسان، وما نقرأه من المعارضة فى كل صحيفة

وليس ما تراه وتسمعه وتقرأه من كل أولئك صادرا من تقليد كما كان يصدر، ولا واردا عن تحريض كما كان يرد . إنما هو أنفة المستذل حين يحس، وغضبة المستغل حين يعى. والقطيع من البقر أو من الغنم إنما يظل قطيعا ما دام لا يعرف إلا العشب بخضمه والماء يجرعه والراعى يطيعه . فإذا ما أدرك يوما أن راعيه يأكل لحمه ويشرب لبنه ويستغل جهده، وليس له من فضل عليه إلا أن برأسه حيلة أضيق من قواه، وفى يده هراوة أضعف من قرونه، لم يعد قطيعا وإنما يصبح أمة

يعلن الناس اليوم ما كانوا يتأبون أن يسروه؛ ويفعلون اليوم ما كانوا يحذرون أن يقولوه؛ ويدركون اليوم أنهم أصحاب الثروة وأرباب البلد ومصدر السلطان، فما فى خزائن الدولة من الأموال ملك لهم، ومن فى دواوين الحكومة من الرجال أجراء عندهم؛ وأن الكبراء الذين يهلكون ولا ينتجون، ويأخذون ولا يعملون، ويقولون ولا يفعلون، ويحكمون ولا يعدلون، إنما هم الكبائر التى توجب العقوبة، والدلائل التى تعلن الكارثة، تصديقا لقول الله تعالى: «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

لو كانت الصحافة وحدها هى التى تنتقد وتعارض وتشتكى وتحتج لقلنا: جماعة من المثقفين المرهفين رأوا المنكر فنددوا به، وأبصروا الخطر فنبهوا إليه، ولكن الواقع أن قراء الصحف وسامعيها من كل طبقة ومن كل حزب قد رأوا فيما تنشر من اعتراض أو امتعاض تعبيرا دقيقا عما يضطرب فى رءوسهم من فكر، وتصويرا صادقا لما يعصف فى نفوسهم من ثورة. فلما أراد من أراد أن يخفت من صوت الصحافة بالكمائم، ويضيق من خطوها بالأجم انفجر فى وجهه الرأى العام من ذات نفسه ومن جميع نواحيه، يدافع عن المنبر الحر الذى تنزل عليه كلمته وتتجلى فيه ارادته

ولو كان الذين انفجروا فى طريق (التشريعات الصحفية) من المعارضين للحكم القائم، لقلنا نزوة من نزوات المعارضة، وشهوة من شهوات المنافسة؛ ولكن الأمر الذى تعجب له وتعجب به أن الذين خاضوا وقادوا معركة الرأى الحر فى محنة الصحافة كانوا من شباب الوفد وكهوله! وذلك يؤيد ويؤكد ما قلنا من أن مصر بأسرها تغير ما بنفسها، وسيغير الله ولاريب ما بها فتساس سياسة وطن لا سياسة إقطاع، وتقاد قيادة أمة لا قيادة قطيع!

المنصورة

احمد حسن الزيات

السرقين والسماد

في الزراعة قديما

لم يكن علم الفلاحة ومعاناة الأرض من العلوم التي انصرفت إليها في الشرق أنظار العلماء والمؤلفين ، فلم يقم في الأقطار الزراعية كالشام ومصر والعراق والأندلس من انقطع إلى الدرس والبحث في علم الفلاحة وعنى بإذاعة تجاربه وأسراره إلا فيما ندر وقل . ومن راجع كتابي الفهرست وكشف الظنون — وهما كل ما وصل إلينا من أسماء الكتب والفنون — لا يكاد يجد فيهما إلا بضعة مؤلفات تدل على قلة عناية القوم بتدوين تجارب الزراعة . ومن أشهر المصنفات فيها :

— كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية . وفي دار الكتب المصرية الجزء الأول منه رقم ٣٩ في ٣٥ ورقة ، كتب في ٢٢ رجب سنة ٩٩٥

— كتاب الفلاحة اليونانية لقسطا أو قسطوس بن لوقا الرومي ، طبع في المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣ للهجرة

— كتاب الفلاحة للروم لعلي بن محمد بن سعد ، ذكره ابن النديم

— كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلي . طبع في مجريط (مدريد) سنة ١٨٠٢ وفي مصر

— كتاب الدر الملتقط، من علم فلاحتي الروم والنبط، تأليف محمد بن أبي بكر بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي المعروف بشيخ حطين رقم ٢١ في مكتبة الدار المصرية ، فيه لغاية الباب التاسع والعشرين ٦٤ ورقة

— كتاب بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين تصنيف السلطان الملك الأفضل العباس ابن الملك المجاهد علي ابن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول . ناقص من آخره قليلا . ذكر أنه نقله واستخرجه من مطالعة الكتب المدونة في الفلاحات ، وسمى منها الكتاب الموسوم بالإشارة في العمارة تصنيف والده ، وكتاب ملح الملاحة في معرفة الفلاحة لجده الملك الأشرف . وفي دار الكتب المصرية نسخة من بغية الفلاحين رقم ١٥٥ ، في ١٦٤ ورقة فيه إلى الباب السادس عشر . وفي خاتمته فوائد زراعية غنية . ويظهر أن المؤلف توفي سنة ٧٧٨ للهجرة

— كتاب الفلاحة المنتجة لطبيبنا الجركشي منه نسخة حسنة في دار الكتب المصرية رقم ٢١٩ في ١١٨ ورقة ، وفي خزانة باريس نسختان منه رقم ٢٨٠٧ و ٢٨٠٨

— كتاب الفلاحة لأبي عبد الله محمد بن الحسين رقم ٤٧٤٦ في خزانة باريس

— كتاب مفتاح الراحة في علم الفلاحة رقم ٢٣٧ في مكتبة الدار المصرية وأوراقه ١٨٩ ، وأكثره منقول من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية

— كتاب جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة لرضي الدين الغزي رقم ١٣٤ في دار الكتب المصرية ، ١١٧ ورقة وفيه فوائد كثيرة

— الفن الرابع في النبات والزراعة والفلاحة في تسعة أبواب من كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر لجمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الوراق المعروف بالوطواط . ومنه ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية ، إحداها مصورة في ثلاث مجلدات رقم ٣٥٩ . وهو ينقل عن ابن بصال في كتاب الفلاحة الرسمية ، وعن كتاب النبات لأبي الخير الأندلسي ؛ قال : وهو غريب جدا لم أجد من رآه . وينقل أحيانا عن كتاب ابن الوحشية وكتاب الفلاحة المصرية

— علم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي ، طبع في مطبعة نهج الصواب بدمشق سنة ١٢٩٩ ، اختصره من كتاب الغزي المتوفى سنة ٩٣٥ السابق الذكر

— عمدة الصناعة في علم الزراعة لعبد القادر الخلاصي من القرن الثاني عشر

وقد طالعنا كل ما وجدناه من هذه المؤلفات في دار الكتب

المصرية فوجدنا كتاب ابن العوام أجودها وأعمها وأجدرها بالمراجعة والاعتبار . وقد استوفى فيه كل ما كان مألوفا فى زمانه من علاج الأرضين وزراعة البقول والحبوب وغراس الأشجار وتربية الحيوانات والدواجن ، وروى كل ما يتعلق بهذه الأبواب علما وعملا ؛ فهو خير ما يعتمد عليه فى هذا الدرس وفيه فوائد وفرائد توضع عليها اليد وتعد ذخرا للزارع والأكار

ومعلوم أن الأسمدة التى هدت إليها الكيمياء ونبهت على خصائصها وفضائلها فى إنعاش الأتربة وتعويض ما تفقده من المواد والقوى فى تغذية النباتات وتثمير الأشجار لم تكن معروفة فى أوروبة قبل القرنين الأخيرين، فكان الأكرة ورجال الفلاحة لا يعرفون إلا السرقين لإصلاح الأرضين وإزكاء الزروع ولذلك قال الخارك ـ

لا أغرس الغرس إلا فى مسرقنة ... والغرس أجود ما يأتى بسرقين(١)

وقد فرقت كتب اللغة بين السرقين والسماد ؛ فالسرقين هو الزبل والروث وحده. وأما السماد، والسرقين مخلوطا برمل وتراب. وجاء الدمال بمعناه وبمعنى السرقين: يقال دمل الأرض إذا أصلحها أو سرقنها . ومن مزاعمهم فى التقاليد المروية عن محمد بن على بن عبد الله أن « أول من دمن الأرض أى ألقى فيها السماد داود عم » (٢) . ويحكى الأصبهانى أن أول من جمع السماد بالبصرة وباعه هو عيسى بن سليمان بن على العباسى من بيت الخلافة حينما كان أمير البصرة « وكانت له محابس يحبس فيها البياح ويبيعه فقال فيه أبو الشمقمق :

إذا رزق العباد فإن عيسى ... له رزق من « الحجاز » العباد

فلما تزوج عيسى فاطمة بنت عمرو بن حفص قال محمد بن عيينة فى ذلك :

أفاطم قد زوجت عيسى فأبشرى ... لديه بذل عاجل غير آجل
فإنك قد زوجت من غير خبرة ... فتى من بنى العباس ليس بعاقل
فإن قلت من رهط النبى فإنه ... وإن كان حر الأصل عبد الشمائل
رأيت أبا العباس يسمو بنفسه ... إلى بيع بياحاته والمباقل (٢)

ولم ترد لفظة البياح فى المعجمات ولا فى تكملة دوزى .

وإنما جاء البياحة شبكة الحوت ، وبعد طول البحث والتنقير وفقنا للعثور على الحديث الآتى فى كتاب البخلاء للجاحظ قال :

« حدثنى إبراهيم بن عبد العزيز قال : تغديت مع راشد الأعور فأتونا بجام فيه بياح سبخى الذى يقال له الدراج ، فجعلت آخذ الواحدة فأقطع رأسها ثم أعزله ، ثم أشقها باثنين من قبل بطنها فآخذ شوكة الصلب والأضلاع فأعزلها، وأرمى باقى بطنها وبطرف الذنب والجناح، ثم أجمعها فى لقمة واحدة وآكلها » (٣)

ولاشك أن هذا الوصف هو وصف سمك كان بالبصرة تجمع رذالته ونفايته وما يرمى به من شوكه وأضلاعه وأطرافه وتحفظ فى محابس لها حتى يغلب عليها العفن ، فتباع على البساتين كالسماد. ومن ثم تكون البياحات فى حكاية الأصبهانى المواقع التى يحبس فيها البياح والسماد . وهذا أقرب ما يبدو لنا فى تفسير هذه الكلمة الغريبة

وقد فاتنا لا محالة كثير من اختبارات الأكرة وأرباب الضياع والبساتين وفنون علاجهم للأرض وتقييمهم للبقول والأزهار والأثمار . وتكفى مطالعة كتاب ابن العوام الآنف الذكر لمعرفة ما كان لبعض مصطلحاتهم وطرائقهم من الشأن والقيمة . ومن بين الأدلة عليها تنبههم إلى ما فى الدماء والأبوال من القوة والدواء لإصلاح الأرض لما فيهما كما هو معلوم اليوم من الأزوت والنترات ، فأشاروا بهما لطب النباتات والمغروسات. قال ابن العوام : « وقد يعالج بعض أدواء النبات بدماء وأبوال لأن للدماء قوى عجيبة فى إنعاش بعض الشجر والنبات » .(٤) ولكن فاته أن ينبه على وجوب تجفيف الدم قبل استعماله

وقد راجعنا مقالاتهم فى أنواع السرقين والمفاضلة بين ذرق الحمام وأرواث الخيل والبغال والحمير ، وأحثاء البقر والجواميس وأبعار الغنم والضأن والماعز ، فإذا أفضل الأزبال عندهم ذرق الحمام ، واختلفوا فى ما يتلوه فى الجودة فقدم بعضهم زبل الحمير على روث الخيل ثم زبل الغنم ثم زبل البقر . ونقلوا عن قسطوس أحد علماء الفلاحة ، وهو قسطا بن لوقا ، أنه قال : « أحسن زبل الطير ذرق الحمام فبحرارته يحيى الأعشاب؛ ثم زبل الحمير ثم زبل

(١) معجم البلدان ٢ : ٣٨٨
(٢) الأعلاق النفيسة لابن رسته ١٩٨
(٣) كتاب البخلاء ١٦٤
(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ، طبعة مدريد ، ١٠٦

الثم ثم زبل البقر ، وأنفع الأزبال الصـــامة للنبات زبل الخيل والبراذين » .(٥) وهذا الرأى هو الشائع اليوم فى تفضيل روث الخيل المزروعات عامة .

وهنالك سرقين آخر أشادوا بجودته ، وأجمعوا على إيثاره والمغالاة فيه وهو ماتسميح القارئ أجل العذر فى التصريح به ، وقد سبق الإيماء إليه فى بيت الشمقمق ويسمونه الروث الآدمى وزبل الناس . ومن غريب ماعرف به أيضـــاً ولم تره إلا مرة واحدة اسم « قوسان » نقله ابن الأخوة فى كلامه على حسبة الفاخرانيين والقصـــارين فقال : « يشرط عليهم ألا يقدوا على الكوز بقوســـان وهو روث الآدمى ولا بشيء من الأزبال فانه نجس؛ بل بالحلفاء والقيشة وهى قشر الأرز وما أشبهه»(٦).

ومن أشهر أسمائه أيضاً الغائط والنجو والعذرة . وإنما الغائط المكان المطمئن . وكانوا إذا أرادوا الخلاء انحدروا إلى الغيطان أى بطون الأرض تستراً وانتباذاً . وكثر ورود الغائط فى كلامهم فانتقل اسمه إلى الحدث نفسه واشتقوا منه الفعل تغوط ، كما انتقل اسم الحش وهو فى الأصل البستان إلى بيت الخلاء لأنهم اعتادوا أن تبرزوا فى البساتين (٧) . وأما النجو فهو الارتفاع من الأرض وكان الرجل إذا خرج لقضاء الحاجة يتستر بنجوة فقالوا من ذلك ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتغوط إذا ذهب إلى الغـــائط لذلك الأمر (٨) . وأما العذرة فهى فناء الدار وكانوا إذا قضوا حاجتهم ألقوها فى الأفنية فأطلق اسم المحل على الحال

وفى أخبارهم عن هذا السماد الآدمى من النكات والمضحكات وهجين العادات والحكايات الغريبة مايدخل فى أوصاف الحضارة وتاريخ الفلاحة، ولذلك لم نتوقف عن رواية بعضها بعد اطراح مالا يجمل ذكره واستبدال ما يقبح التصريح به من ألفاظه المبتذلة الفاحشة

وقد عده ابن العوام بعد ذرق الحمام فى الجودة والامتحان للأرض والنابت كلها(٩) . ووصف أيضاً كيف يعمل به قبل الاستعمال له فقال : « ينبغى أن يجفف من رطوبته الأولى الأولى حتى يكمل جفافه ويسود ثم يجعل فى الحفائر ويرش عليه الماء العذب ثانية ويحرك تحريكا كثيرا ويخلط حتى يختلط ويجفف حتى يجف جفافا جيدا ثم يخلط به رماد » (١٠)

وكان لأصحاب البساتين طلب عليه شديد وتنازع متواصل « فلا يبالون تسميد بقولهم قبل بجرمها وتفتق بزورها ولا بعد انتشار ورقها وظهور موضع اللب منها، حتى ربما ذروا عليها السماد ذرا ثم يرسل عليها الماء حتى يشرب موضع اللب قوى العذرة . بل من لهم بالعذرة وعلى أنهم ما يصيبونها إلا مغشوشة مفسدة ، وكذلك صنيعهم فى الريحان ، فأما النخل فلو استطاعوا أن يطلوا بها الأجذاع طليا لفعلوا . »(١١)

ومما يدل على الاعتقاد الشائع فى أثر هذا السماد البشرى نكتة رواها البلاذرى عن معاوية بن مروان وكان محمقا قال : « مر بحقل وقد سمع أهل الشام يقولون لايفلح حقل لا يرى «عجز» صاحبه فنزل وأحدث . »(١٢) ومن أهزل الأبيات التى قيلت فى هذا المعنى مارواه أبو الفرج الأصبهانى قال :

« اجتمع جيفران الموسوس ومحمد بن بشير فى بستان فنظر إلى محمد بن بشير وقد انفرد ناحية ثم قام عن شئ عظيم خرج منه فقال جيفران :

قد قلت لابن بشير لمـا رى من مجانه

فى الأرض تل سماد عـــلا على كثبانه

طوبى لصاحب أرض « خلوت » فى بستانه(١٣)

وكانت البصرة فيما قيل أشهر أسواق السرقين، وأميرها كما سبق كان ممن يتجر به « وللحشوش فيها أثمان وافرة ولهـا فيما زعموا تجار يجمعونها . فإذا كثرت جمع عليها أصحاب البساتين ووقفهم تحت الريح لتحمل نتنها إليهم فإنه كلما كانت أنتن كان ثمنها أكثر، ثم ينادى عليها فيتزايد الناس فيها. وقد قص هـذه القصة صريع الغلاء المصرى — ولذلك ذم الشعراء البصرة

٥) كتاب الفلاحة لابن العوام ، طبعة مدريد ١٠٠

٦) معالم القربة فى أحكام الحسبة ، طبعة كيمبردج ، ٢٣٣

٧) النهاية فى التعريض والكناية للثعالبي ٣٤ — ٣٥

٨) كتاب الحيوان للجاحظ طبعة مصر ١٣٢٣ ، ج١ ، ١٦٢–١٦٣

٩) كتاب الفلاحة لابن العوام ١٠٠

١٠) كتاب الفلاحة لابن العوام ١٠٥

١١) كتاب الحيوان ، ١ : ١١٦

١٢) أنساب الأشراف : ٥ : ١٦٤ — ١٦٥

١٣) الأغانى ١٢ : ١٤٠ — ١٤١

وأهلها فقال محمد بن حازم الباهلي (في هجاء البصري) :

يمتن « بجوه » كيا يغالي به عند المبايعة التجار (١٤)

ومن النوادر المروية عن البصرة « دخل فتى من أهل مدينة البصرة فلما انصرف قال له أصحابه : كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس . أما الجائع فيأكل خبز الأرز والصحناة فلا ينفق في شهر إلا درهمين . وأما الغريب فيتزوج بشق درهم . وأما المحتاج فلا عليه غائلة مابقيت له عجزه ، « يحدث ويبيع » (١٥)

واشتهرت أصبهان البصرة في نفاق الحشوش فيها « فإن قيمتها عندهم وافرة » قال ياقوت : حدثني بعض التجار قال : رأيت بأصبهان رجلا من التناء يطعم قوما ويشرط عليهم أن يتبرزوا في خربة له قال : ولقد اجتزت به مرة وهو يخاصم رجلا وهو يقول : كيف تستجيز أن تأكل طعامي وتفعل كذا عند غيري — ولا يكنى — ولبعض الشعراء في ذم أصبهان وأهلها أبيات قال فيها أن ليس للناظر في أرجاء أصبهان من نزهة تحيي القلوب غير أوقار المذرة (١٦) ومن أقبح ما وصف به أيضا أهل أصبهان قول أبي القاسم البغدادي :

« يحملون « نجوهم » على رؤوسهم وعلى ظهور دوابهم إلى بساتينهم فيتجسون به الأنهار ويربون به الثمار ويأكلونها . أي لعمري هو « نجوهم » منهم بدا وإليهم يعود وهم أحق به . بلدة حشوشها في المسابل وطرقها كالمزابل . لايوجد بها ذو كرم ولا نائل » (١٧)

وعيبت مدينة توزر في إفريقية « بأن أهلها يبيعون مايتحصل في مراحيضهم من رجيع النـاس يفعلون به بقولهم وبساتينهم ولكنهم لا يرغبون فيه إلا إذا كان جافا فيحملهم ذلك على عدم الاستنجاء في مراحيضهم، ويخرج أحدهم من بيته حتى يأتي القناة فيستنجي من مائها وربما اتخذ أحدهم المراحيض على قارعة الطريق للواردين عليها ليأخذ مايتحصل من ذلك ويبيعه .» (١٨)

ولذلك قال الجاحظ : « من أكرم سمادهم الأبعار كلها والأخثاء . إذا جفت ، وما بين الثلط جافا والخثاء وبين المذرة جافة ويابسة فرق » (١٩)

وأقبح ما هنالك ما كان يجرى في قابس « فإن أكثر دورهم لا مذاهب فيها وإنما يتبرزون في الأفنية فلا يكاد أحدهم يفرغ من قضاء حاجته إلا وقد وقف عليه من يبتدر أخذ ماخرج منه لطعمة البساتين، وربما اجتمع على ذلك النفر فيتشاحون فيه فيخص به من أراد منهم، وكذلك نساؤهم لا يرين في ذلك حرجا عليهن إذا سترت إحداهن وجهها ولم يعلم من هي » (٢٠)

وأشد ما كان الطلب على السماد في بغداد حتى بعث الطمع بعض أصحاب الرباع على احتكار ما كان يلقى على الكساحة والمزابل ، قال بعضهم : نزلنا دارا بالكراء للكندي فكان في شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة وبعر الشاة ونشوار العلوفة » (٢١)

ولابن السميسر في بلنسية Valence وهي من أهم مغارس النارنج والبرتقال في إسبانية تطيف بها منهما حدائق وبساتين ملء البصر :

بلنسية بلدة جنة وفيها عيوب متى تختبر
فخارجها زهر كله وداخلها برك من قذر (٢٢)

ومن الغريب جدا أن يتنازع الناس إلى هذا الحد القبيح أوقار الأقذار! فهل كان سرقين الحيوانات دون الكفاية ؟ ولعل أقرب ما يعلل به هذا الطلب الشديد أن الأبعار والأخثاء كانت تجفف وتدخر للوقود ولا سيما في البلاد التي قلت فيها الأحراج والغياض وتعددت الحمامات كما أشار إليه صاحب كتاب البخلاء حيث قال : « أما الفرث والبعر فحطب إذا جفف عجيب » (٢٣) ولا شك أن مثل هذه العادة كانت في الشرق معروفة شائعة منذ القدم؛ ولا تزال متبعة في القرى والجبال إلى اليوم، وقد ألمع إليها الشعراء ، قال الهذلي :

١٤) معجم البلدان ١ : ٦٤٧
١٥) معجم البلدان ١ : ٦٤٧
١٦) معجم البلدان ١ : ٢٩٤ — ٢٩٥
١٧) حكاية أبي القاسم البغدادي ٢٢
١٨) صبح الأعشى ٥ : ١٠٦
١٩) كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ١١٦
٢٠) معجم البلدان ٤ : ٤
٢١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣ : ٢٥٩
٢٢) معجم البلدان ١ : ٧٣٣
٢٣) كتاب البخلاء ٧٨

وليلة يصطلي بالفرث جازرها
يختص بالنقرى المثرين داعيها [٢٤]

وللأخطل في إحدى نقائضه

صفر اللحى من وقود الأدخنات إذا
رد الرفاد وكف الحالب القرر

يقول هم صفر اللحى من الدخان، والأدخنات السرقين، والرفاد قدح ضخم، والقرر جمع قرة وهى البرد [٢٥]

وفيما عدا الوقود للاصطلاء كان السرقين تحمى به الحامات وأتانين الملال صانع خبز الملة وتنانير الخبز [٢٦]. ومن مآثر طاهر بن الحسين أنه رأى يوما فى قصره ببغداد « دخانا مرتفعا كريه الرائحة فتأذى به فسأل عنه فقيل له إن الجيران يخبزون بالبعر والسرجين فقال: إن من اللؤم أن نقيم بمكان يتكلف الجيران شراء الخبز ومعاناته .. اقصدوا الدور واكسروا التنانير واحصوا جميع من بها من رجل وامرأة وصبي وأجروا على كل واحد منهم خبزه وجميع ما يحتاج إليه .. فسميت أيامه « الكفاية » [٢٧]

وعزم أحد الخلفاء العباسيين على الشرب يوما واستنكف من رؤية الرجيع واستنشاقه بين أزهار البستان؛ فزينت له أنفته أن يستعيض عنه بما لا يخطر إلا فى أذهان الملوك وهو ما رواه التنوخي قال:

« أراد المقتدر الشرب على نرجس فى بستان فى صحن دار من سفار صحونه فقال بعض من يلي أمر البستان: سبيل هذا النرجس أن يسمد قبل شرب الخليفة عليه بأيام فيحسن ويقوى، فقال هو: ويلك يستعمل « الرجيع » فى شيء بحضرتى وأريد أن أشمه. قال: بهذا جرت العادة فى كل ما يراد تقويته من الزروع، فقال: وما العلة؟ قال: لأن السماد يحميه ويعينه على النبات والخروج، قال: فنحن نحميه بغير السماد. وتقدم فسحق من المسك بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد وسمد به وجلس يشرب عليه يومه وليلته واصطبح من غده عليه، فلما قام أمر بنهبه فانتهب البستانيون والخدم ذلك المسك كله من أصول النرجس واقتلعوه مع طينه حتى خلصوا المسك فصار البستان قاعا صفصفا، وخرج من المال شيء عظيم كثير فى ثمن ذلك المسك » [٢٨]

باريس السوربون **شاكر محمود**

٢٤) كتاب الحيوان ٦: ١٩٦
٢٥) النقائض، طبعة بيروت ١٦٥
٢٦) كتاب الحيوان ١ : ١١٦
٢٧) معجم البلدان ٢ : ٢٥٦
٢٨) نشوار المحاضرة ١: ١٤٤

رسـالة المربى

الحرية ... المعنى الحقيق لها ... صلتها بالتربية ... تحديد رسالة المربى

للأستاذ كمال السيد درويش

(تابع)

لقد اختلف الناس حول تفسير الحرية منذ القدم وسوف يظلون على اختلافهم هذا . وهل ينعم المجتمع الإنسانى حتى الآن بالحرية كما يجب أن تكون ؟

إن أول معنى للحرية هو هذا الذى فهمه الإنسان الأول حين كان يسعى فى الغابات : حرية مطلقة غير مقيدة اللهم إلا بقيود البيئة التى يعيش فيها

ثم تطور معنى الحرية بنمو المجتمع الإنسانى وظهور التقاليد تلك التى استبدت بحرية الإنسان وأخذت تسلبه إياها رويداً رويداً حتى شعر فى النهاية بسلطانها الديكتاتورى فقام يثور ضد عبودية التقاليد ... قام يستعيد حريته الأولى ... حريته المطلقة

عرف الإنسان الحرية بمعناها المطلق وما كاد يبتعد عنها حتى عاد إليها . وهذه هى الحرية التى نادى بها جان جاك روسو : «لقد ولد الإنسان حراً .. »

ولكن الحرية المطلقة كانت نكبة على الإنسان فنفر منها وهجرها . وكيف لا يفر منها وقد وجدها تقتل نفسها بنفسها فتستحيل بذلك إلى الديكتاتورية بعينها . ألست حراً فى أن أفعل ما أشاء ؟ وغيرى أليس بدوره حراً ؟ سأستعبده بحريتى المطلقة ؛ وسيستعبدنى بدوره وهكذا يصبح كل منا عبداً للآخر

جرب الإنسان الحرية المطلقة كما جرب الديكتاتورية فوجد أنهما اسمان لمسمى واحد ؛ ذلك هو العبودية . وواجهته المشكلة فاذا فعل لحلها ؟ لقد لجأ إلى الحل الوسط : يجب ألا يتمتع بالحرية هكذا مطلقة من كل القيود كما يجب ألا يعيش بدونها . الحرية المقيدة هى علاج حيرة الإنسان

وخرج الإنسان من المشكلة ليجد مشكلة أخرى أشد تعقيداً، حقاً يجب تقييد الحرية ولكن إلى أى حد يجب تقييدها ؟!

ما أكثر القوانين التى وضعت لتقييد الحرية فإذا بها تلتف حول عنقها لتخنقها وتزهق روحها ؟! ما فائدة تقييد الحرية إذا كان تقييدها سيسلبنا إياها ؟ ما الفائدة إذا كنا سنصيح مرددين : إيه أيتها الحرية ، كم من الجرائم ترتكب باسمك ؟! لا بد من تحديد المدى الذى يجب أن نذهب إليه فى تقييد الحرية حتى لا تنقلب إلى ديكتاتورية وعبودية . ولكى نحدد المدى سنسير مع الطريقة النفسية فنسأل أنفسنا أولا :

ما هو الغرض من تقييد الحرية ؟! أليس الغرض هو الكف من ضرر إطلاقها المحافظة عليها ؟ اتكن قيود الحرية هى تلك القيود التى تؤدى حقاً إلى تقدمها ونموها لا إلى تأخرها وضمورها

وهنا تتضح الصلة الوثيقة بين التربيـة وبين المعنى الحقيق للحرية التربية قيد ووسيلة . هى قيد نقيد به حرية المتعلم كوسيلة من وسائل المحافظة على نمو هذه الحرية وازدهارها . وهذا مقياس يمكن أن نقيس به نجاح التربية فى الوقت الحالى . أهى قيد يزيد فى حرية الإنسان وفى مدى تمتعه بالحياة ؟ أم هى عبء ثقيل حرم الإنسان حريته صغيراً ولا يزال يسلبه إياها كبيراً ؟

هذا الطفل الناشئ ! لماذا نعلمه ؟ أليس غرضنا من ذلك أن نجعله أقدر على فهم مجتمعه والاندماج فيه والتمتع بأكبر قسط من الحرية فى الحياة ؟ ألسنا نزوده بخبرة من سبقه من الناس لينتفع بها فى التغلب على ما يصادفه من عقبات؟ وكلما تمكن من ذلك اتسع مجال الحرية أمامه لينعم بالحياة ؟ إن التربية قيد ضرورى لحرية الإنسان وهى بذلك جزء لا يتجزأ منها

وعلى العكس من ذلك لو زودنا الطفل بتعليم جاف جامد ليست له أية قيمة عملية فى الحياة لن يستفيد منه قط ولن يستخدمه فى تذليل ما سيصادفه من مشاكل وعقبات — وما أكثرها — فى الحياة . لم يعطه ذلك التعليم أية حرية فى الحياة . وهكذا يصبح فى نظره مجرد قيد لا أكثر ولا أقل . . مجرد عبء يضاف إلى أعبائه فيثقلها، ومشكلة تضاف إلى مشاكله فتعقدها، ويكون مثل المتعلم فى ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً

يتضح من ذلك أن رسالة المربى يجب أن تكون فى العمل بالطريقة السيكولوجية (النفسية) لا المنطقية وفى التخلص من ديكتاتورية التقاليد وفى توطيد دعائم الحرية . . الحرية المقيدة

لا المطلقة ؟.. والحرية المقيدة بأى نوع من أنواع القيود؟!! بالقيود التى تزيد فى الحرية نفسها

هذا هو الأساس الفلسفى لرسالة المربى فى الحياة سواء أكان مدرساً أم غير مدرس . وتلك هى الخلاصة التى استخلصتها الإنسانية خلال العصور، وبعد أن جربت مختلف الاتجاهات فلم تنته إلا إليها، والتى تتمثل فى كتابات كبار فلاسفة التربية فى الوقت الحالى

ولكن . . كيف يمكن إخراج هذا الأساس الفلسفى إلى حيز الوجود العملى ؟!

سوف يكون ذلك موضوع المقال القادم بإذن الله

كمال السيد درويش
ليسانسيه الآداب بامتياز – دبلوم معهد التربية العالى
مدرس بالرمل الثانوية

٣ - ألمانيـــا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »
صدق الله العظيم

مطالب :

لمصر فى عصرنا الحاضر قضيتان أو إن شئت قضية واحدة ذات شقين : الجلاء والوحدة ؛ فمصر لم تعد تحتمل استمرار احتلال إنجلترا لأراضيها أو لجزء منها . ومهما تقدم بريطانيا من حجج فلن يستطيع المصريون أن يؤمنوا بغير الجلاء حلا . وهم على حق ، فإن احتلال دولة — مهما كانت صديقة — لأراضى دولة أخرى أو جزء منها يعتبر عدوانا عليها واعتداء على استقلالها وأمر لا يقبله عقل سليم أو يرضاه وطنى مخلص

وكذلك لا تستطيع مصر أن تقف مكتوفة الأيدى وهى ترى وحدة الوادى تتحطم أمام عينيها ، وهى وحدة أقامتها العوامل الجغرافية والتاريخية واللغوية والدينية . إن مصر لا تطلب سيادة على السودان وإنما تريد أن تعيد وحدة وادى النيل التى أقامها محمد على الكبير منذ سنة ١٨٢٠ وإنشاء دولة قوية موحدة من مصر والسودان؛ للسودانى فيها ما للمصرى من حقوق وعليه ما عليه من واجبات

وبريطانيا ما تزال تقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق الأمنيتين ، بل إن وزيرها موريسون يعلن فى خطابه بتاريخ ١٩٥١/٧/٣٠ أن على شعوب الشرق الأوسط أن تخفف من غلوائها الوطنية وأن تقبل الأمر الواقع . ويزيد أن إسرائيل أقيمت لكى تبقى ولا يمكن إلقاؤها وإلقاء أهلها فى البحر ، وأن بريطانيا حريصة على بقائها . ونحن نسائل الوزير البريطانى : كيف جاز لكم أن تلقوا بالعرب الآمنين من أهالى فلسطين خارج بلادهم وأوطانهم فى بادية جدباء ، وأرض قفر لا زرع فيها ولا ماء ؟

أيها الوزير : أنت لا ترضى أن تلقى بإسرائيل وأهلها فى البحر، فأمامك العرب العزل المشردون فألق بهم فى البحر إن لم يعجبك إلقاؤهم فى البادية

أيها الوزير :

لقد أثمتم فى حق بريطانيا وفى حق التاريخ ، فجرائمكم فى الشرق الأوسط ستظل وصمة عار فى جبينكم ، وعليكم إن أردتم أن تكفروا عن ذنوبكم أن تردوا الحقوق إلى أهلها . فليرجع عرب فلسطين إلى أوطانهم ، ولتمط مصر حقوقها كاملة غير منقوصة، فإن ذلك هو الطريق إلى الاستقرار فى الشرق الأوسط . لقد صبرنا على عدوانكم سنين طوالا ولم يبق فى قوس الصبر منزع . إن كل مصرى يهتف من أعماق قلبه فى وجوهكم أن « اخرجوا من بلادنا »

وإنى فى هذا الحديث أقدم لمواطنى قصة قيام ألمانيا الحديثة عسى أن نتخذ منها مثلا والله ولى التوفيق

اصطلاح جغرافى :

كانت ألمانيا مقسمة إلى عدة ولايات ودول كانت مملكة بروسيا أعلاها شأنا ، وكانت السيادة على العالم الألمانى للنمسا فلم

تكن هناك دولة إذن تجمع شتات الألمان وتدفع عنهم العدوان، وقد ذاق الألمان على يد نابليون الكثير من صنوف العذاب وألوان الهوان. ومع هذا فإن مؤتمر فينا ١٨١٥ أهمل مطالب الألمان القومية وبقيت ألمانيا مقسمة وتسودها النمسا حتى ١٨٦٣ وتمت وحدتها على يد داهيتها بسمارك

بسمارك:

يقول أحد المؤرخين « إن القرن التاسع عشر يقتسمه رجلان: نابليون فى النصف الأول وبسمارك فى النصف الثانى: ويطلق المؤرخون على الفترة من ١٨٧٠ — ١٨٩٠ اسم « عصر بسمارك » لأن بسمارك كان قطب السياسة الدولية والمسير لدفتها فى تلك الفترة

ولد بسمارك سنة ١٨١٥ وتعلم فى جامعتى جوتنجن وبرلين؛ ثم التحق بخدمة الحكومة ولكنه استقال، وظل كذلك حتى انتخب عضواً فى برلمان برلين سنة ١٨٤٨ ثم عين مندوباً لبروسيا فى الديت الألمانى. وبعد هذا عين سفيراً لبروسيا فى بطرسبرج ثم فى باريس. وهناك اتصل بساسة الدولتين وعرفهم عن قرب

عاد بسمارك إلى برلين وتولى الوزارة. كان أسمى أمانيه إنشاء اتحاد يشمل جميع الولايات الألمانية تحت رياسة بروسيا؛ ولهذا عمد إلى تقوية الجيش، لكن البرلمان عارض فقال بسمارك عبارته المشهورة « إن المسألة الألمانية لا تحل بمناقشات برلمانية ولكن تحل بالدم والحديد » ولم يعبأ بمعارضة البرلمان وكون لبروسيا جيشاً قوياً كان عدتها فى تكوين وحدتها

كان بسمارك يعلم أن وحدة ألمانيا لن تتم إلا بقيام حربين: حرب مع النمسا، وأخرى مع فرنسا. وهنا تتجلى عبقرية بسمارك الدبلوماسية، فقد قرر أنه فى حالة قيام الحرب يجب عليه أن يحارب دولة واحدة فقط، ولذلك كان يعمد إلى عزل هذه الدولة حتى لا تجد لنفسها نصيراً أو حليفاً، وبذلك سرعان ما تنهزم أمام قواته المدربة

الحرب مع النمسا:

كان ملك الدانمرك يحكم ولايتين ألمانيتين: شلزويج وهولشتين.

وفى عام ١٨٦٤ اتفق بسمارك مع النمسا على انتزاع الولايتين من يد الدانمرك، وسارت جيوشها فأخذت بروسيا شلزويج وأخذت النمسا هولشتين

بعد هذا عمد إلى عزل النمسا دولياً.. جامل الروسيا أثناء إقامته فيها وأثناء الثورة البولندية إذ وقف فى وجه الثوار يمنع عنهم العتاد والأسلحة ويمنعهم من الفرار من بولندا فحفظت روسيا له هذا الجميل

وأما فرنسا فقد قابل إمبراطورها نابليون الثالث فى بيارتز وهناك اتفق معه على أن يقف على الحياد وفى مقابل ذلك يأخذ بلجيكا أو بعض ولايات الرين الألمانية

وأما إيطاليا فقد انضمت إلى صفه لأن النمسا كانت تحتل البندقية فتعهدت بالدخول فى الحرب مع بروسيا لتأخذ البندقية

أعد بسمارك قواته، وعزل النمسا دولياً وأصبح الطريق إلى الوحدة أمامه ممهداً، فاتهم النمسا بأنها تسىء الحكم فى ولاية هولشتين وسير جيشه فاحتلها. أعلنت النمسا الحرب وسرعان ما سحقت قوات بروسيا قواتها فى معركة سادوا ٣ يولية سنة ١٨٦٦

وهنا نرى لوناً آخر من عبقرية بسمارك: لقد أصبح الطريق إلى فينا مفتوحاً أمام القوات البروسية، ولكن بسمارك أمرها بالوقوف وبدأ مفاوضات الصلح معها فعقدت معاهدة براغ ١٨٦٦ وبها اعترفت النمسا بتكوين اتحاد بزعامة بروسيا من الولايات الألمانية الشمالية

لماذا لم يتقدم بسمارك ويحتل فينا؟ إنه كان يطمع فى صداقة النمسا وكان يؤمن بأن الحرب مع فرنسا آتية لاريب فيها، ولذلك رأى عدم إذلال النمسا حتى لا تنضم فى النزاع المقبل إلى فرنسا

الحرب مع فرنسا:

كانت سياسة فرنسا تقوم على أساس منع قيام دولة ألمانية موحدة. ولذلك ثار الشعب الفرنسى على إمبراطوره عقب سادوا واعتبر الكتاب الفرنسيون أن فرنسا هى التى هزمت فى سادوا لا النمسا واتهم الإمبراطور بالتقصير

كان بسمارك يستعد للمعركة، فأعد الجيش، ومد الطرق الحديدية إلى الحدود الفرنسية، وعمد إلى عزل فرنسا دولياً:

٢ - شاعر مجهول

للأستاذ حسني كنعان

شاع في سورية أن قوة كثيفة قادمة من الأناضول التركي يتقدمها كبار القادة والصدر الأعظم قد أعدها السلطان للقضاء على جيش إبراهيم باشا والقضاء على حركته التحريرية قبل أن يستشري شرها ويستفحل أمرها. وما كادت تتخطى هذه القوة حلب وتصل إلى منبج حتى تلقتها أيدي الصقور المصرية، فأسرت القادة ثم أسرت الصدر الأعظم نفسه، فتمزق ذلك الجيش الذي أطلقوا عليه جيش الخلاص والإنقاذ، ففر من فر منه عائدا إلى تركيا، وأسر من أسر من أفراده، فكانت هذه النكسة للأتراك بمثابة فضيحة كبرى طمعت الدول الأجنبية بهم، وجعلتهم يطلقون على الدولة العثمانية الرجل المريض، فأزمعوا تقسيمها مذ رأوا أن عاملا من ولاتها استطاع أن يغلبها على أمرها ويضطرها إلى الاستعانة بهم. وكان من أمر الأجانب المستعمرين الطامعين ما كان من التدخل الملوم في شؤون الدولة العثمانية، وتغير وجه التاريخ، ولولا ذلك التدخل لرفرف العلم المصري فوق سراي يلديز مقر سلاطين آل عثمان ولتحررت البلاد العربية جميعها، فاستدعى محمد علي ولده إبراهيم إلى القاهرة ليتداولا في الأمر، وكان معه شاعرنا الجندي الذي سبقه اسمه إلى مصر وذاع خبره فيها، لأن قصائده في مدح الباشا القائد ووصف معاركه قد تناقلتها الأيدي وتداولتها الأسماع، فلاقى هناك من حفاوة شعراء ذلك العصر وأدبائهم ما جعله مغتبطا مسرورا بهذه الزيارة، فمدح مصر ومدح أميرها بما جعله مرموقا في أعين أمرائها وزعمائها. ومما قاله في مدح محمد علي الكبير من قصيدة جاء فيها

سرت والنور يغشاها سحيرا   وعرف المسك يصحبها مليا
وسرت متابعا باللثم منها   مواطئ نعلها الرطب الزكيا
إلى أن أجلستني فوق عرش   لدى قصر حوى روضا بهيا
ذكرت لها الأفاضل فاستهلت   بمن لأبي الحسين غدا سميا
إماما عارفا برا تقيـــا   خفاجيا كريما أريحيا
إذا ما قال أما بعد يبدي   لنا إيضاحه المعنى الخفيـــا
به مذ شرفت ضمياط قدرا   كساها المجد ثوبا سندسيـا
أعار الرأي أحنف بن قيس   وفاق بحسن سيرته الثريا
يمر على البلاد كنيل مصر   فيروي أهلهـــا حيا فحيا
نعم أم الزمان غـدت عقيما   إذا عن مثله فاقصر أخيـا

فروسيا صديقته وإيطاليا كذلك إذ بر بوعده لها وأعطاها البندقية. وأما النمسا فكانت لا ترى نفسها في حالة تدفعها إلى الدخول في حرب جديدة

بقيت إنجلترا وهذه لا تهتم إلا بالبلجيك، وسياستها تعمل دائما على منع وقوع بلجيكا في يد دولة معادية سواء كانت فرنسا أو ألمانيا. طالب نابليون الثالث بمكافأته حتى يقوي مركزه في فرنسا، ولكن بسمارك رفض إعطاءه أراضي ألمانية أو بلجيكية، ونشر مكاتبات نابليون فأثار الشعور الألماني ضده وأثار الإنجليز وهكذا بقيت فرنسا وحيدة

بعد هذا عمد بسمارك إلى إثارتها واتخذ من مسألة النزاع حول العرش الإسباني سببا في إشعال الحرب. واندفعت فرنسا فسقطت في الهوة التي حفرها بسمارك. وقامت الحرب وسرعان ما هزمت الجيوش الفرنسية في كل مكان وسقطت إمبراطورية نابليون الثالث غير مأسوف عليها. وتقدم الألمان واحتلوا باريس وتوج الملك ولهلم إمبراطوراً لألمانيا في قصر فرساي في ١٨ يناير سنة ١٨٧١

وهكذا تم الاتحاد الألماني بقوة الدم والحديد

ومنذ قيام ألمانيا الحديثة أصبحت إحدى الدول الكبرى التي تتحكم في مصير العالم، وقد ظل وزيرها بسمارك يسيطر على السياسة الدولية ويدير دفتها حتى عزله الإمبراطور ولهلم الثاني،

ومما لا شك فيه أن بسمارك يعتبر أستاذ الساسة الألمان وأبرعهم؛ فقد كان يرسم خطة المعركة قبل خوضها ويحيطها بالعوامل التي تكفل له النصر. وعلى نهجه حاول هتلر أن يسير، ولكن التوفيق جانبه في النهاية، بينما لازم التوفيق بسمارك طوال حياته

للكلام بقية

أبو الفتوح عطيفة

المدرس الأول للعلوم الاجتماعية
بسنود الثانوية

لنحو علاك بنت الفكر وافت … وغيرك لم تجد خلا وفيا
فهب تقصير شعرى لاعتراف … أيا من فاق فى الفضل الرضيا
فإنى فيك قد شرفت نظمى … وجئت أروم منحا أخرويا
وصل مسلما دوما على من … علا بالجسم مرتبة الثريا
وآل ما البديعة فى خباها … بدت شمسا وماست سمهريا

فكان لهذه القصيدة تأثيرها الحسن لدى الأمير المصرى الكبير وكان لها وقعها وصداها

مكث الجندى مدة فى القاهرة يتمتع بعطف الأسرة العلوية ويرتع فى خيراتها ومبراتها ؛ ينظم فيها القصائد ويضع القدود والموشحات ، وكان طوال إقامته فى مصر كعبة قصاد أهل الفن ، أخذ عنه أرباب الفن كثيرا من الوشحات والمواويل والقدود والأدوار والقصائد ، فلحنوها هناك . وكانت لهم بمثابة مادة فنية جديدة أكبوا على تلحينها والتغنى بها مدة من الزمن أفاضت على القطر لونا جديدا من ألوان الغناء ؛ فيها المتعة واللذة والمعانى المبتكرة الأخاذة ، ولا تزال موشحاته وقدوده تستعمل فى الغنى القديم حتى الآن دون أن تعرف أنها من نظمه ووضعه ، منها موشح

يا غزالى كيف عنى أبعدوك (من نغمة الأصبهان)

ومنها موشح تيمتنى هيمتنى (من نغمة البياتى)

ومنها موشح أهوى الغزال الربرى باهى الجمال من نغمة الحجاز التى نشرت فى الرسالة سابقا . ومن الوشحات المشهورة التى لم تنشر هنا بعد قوله من نغمة البياتى - نواه

يا صاح الصبر وهى منى … وشقيق الروح نأى عنى
بالحسن يفوق على الند … إن ماس بأثواب الند
وحسام لواحظه الهندى … قد جرد من غمد الجفن
شمس بأطالعها حلت … ولبند ذوائبها حلت
وبشهد مباسمها حلت … للكأس فيا بنت الدن
بلطافة معناها رقت … ولجد محاسنها رقت
ولفرط نحولى مذ رقت … لطفا أحسنت بها ظنى
زارت والعنبر يصحبها … وسحاب النور يحجبها
وإذا ما لاح منقبها … أبصرت الشمس على الغصن
ما أحلى حين أشاهدها … وبما ترضاه أناشدها
واجلى للقلب مشاهدها … من راجى الغفلة والظن

وهناك موشحات فى الديوان أرى من الفائدة الإتيان على ذكرها فى هذه الكلمة تتمة للفائدة : منها موشح من نغمة الرصد : مطلعه

الحب فى صدق النيه … خير الصفات المرضيه
قد لذ لى صافى المشرب … فى حانة الباز الأشهب
وصار لى نعم المذهب … هجر السوى بالكليه
طابت ليالى الأفراح … وراق خمر الأقداح
وقد زكا للأرواح … نشر الرياض الأنسيه
سلطان أهل التحقيق … بعد الإمام الصديق
ما حى ظلام التعويق … راق مقام القطبيه
مالى إذا عز الناصر … إلا حمى عبد القادر
راعى الحمى البحر الزاخر … سر المعانى القدسيه
إن كنت معنا فانعمنا … واصبر على البلوى معنا
وإن تسل عن ذى المعنى … هذا طريق الصوفيه
صلاة مولاى البارى … على النبى المختار
والآل عد الأمطار … أزكى صلاة مرضيه

هذا لون من ألوان الوشحات الصوفية المتداولة لدينا حتى الآن فى حلقات الأذكار ، أوردته دليلا على صوفية شاعرنا وهوايته فى هذا المذهب . ولقد كان أهل زمانه يضعونه فى مصاف الأقطاب أهل الكشف أصحاب الكرامات . وقيل إنه زار حلب فى سنة من السنين وكانت سنة ماحلة مجدبة ما بعثت السماء بقطرة مطر واحدة ، فخرج الحلبيون إلى العراء يستسقون ويستغيثون وكان هذا الجندى فى طليعتهم ، فنظم فى الحال موشحه المشهور الذى نشرته الرسالة سابقا ومطلعه

ياذا العطا ياذا السخا ياذا الوفا
إسق العطاش تكرما فالعقل طاش من الظما

إلى آخر الأبيات ، ويذكر الطاعنون فى السن فى بلادنا الشامية نقلا عن آبائهم وأجدادهم ، أن موكب المستغيثين ما كاد يصل إلى المدينة راجعا من العراء حتى جادت السماء بغيث مدرار لم تحصل عليه التربة الحلبية منذ عشرات السنين ، وبهذا أنقذ

مع شوقي الخالد :

مسرحية مصرع كليوباترا

تتمة ما نشر في العدد الماضي

للأستاذ حسين كامل عزمي

ثم يضرب شوقي ضربته النفسية الرائعة ، المؤثرة ، البليغة . في إسداله ستائر الموت على الجو الأخير ، بنشيد الموت . . حتى إذا ما انتهى نشيد الموت ، وضمن الشاعر تهيئة الجو النفسي للجمهور ، يدخل القائد بالمعاهدة المهينة . فيضمن الشاعر بذلك سخط الجمهور على الدخيل ؛ ثم يجري على لسان القائد تلميحا ، كالسهم الموجع ، يعني الأنثى المسكينة « كما صورها شوقي » فيضمن أيضا ثورة الجمهور ، متضمنة عطفا انفعاليا غير واع على البطلة ... ثم يأتي تصوير الانتحار . . الملكة متخاذلة ، ضعيفة ، مسكينة ، تصانع الحراس ، وتتلقى تجريح القائد ، وتتعاطف مع الخدم ، و . . وتذوي في نشيد الموت ...

ثم تناجي زنبقة في الآنية . ولكم أحسن شوقي تصوير كليوباترا الأنثى في هذا الموقف . . فها هي ذي منحنية على زنبقة في أصيص ، تتعاطف مع الطبيعة الصامتة شاعرة ، متصوفة — ما أبعدها عن كليوباترا التاريخ الخاطئة — اسمعها تقول :

زنبقة في الآنيه … ضحية الأنانيه
جنت عليها غربة الـ … أسر الأكف الجانيه
وبدلت من سعة الربوة … ضيق الباطيه
يسقونها من جرة … بعد العيون الجاريه
يا جارتا شأنك لا … يشبه إلا شانيه
لم يبق من ملكي العريض … غير دار خاويه
وكلتا ذابلة … عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغنا … من حياة فانيه

وبعد .. فكليوباترا أم لا تقوى على مواجهة طفلها وحدها فتستند إلى شرميون قائلة :

الموسم . . وكانت سنتئذ تعد من السنين الخصبة المرعة لديهم . ولهذا لا يزال الحلبيون حتى الآن يفزعون إلى الصراء كلما ضنت عليهم السحب بالأمطار ، ينشدون هذه الموشحات إذ يعتقدون فيها الخير والبركة ... ولكن الخير والبركة بعيدتان عن أهل هذا العصر الذي طغى عليهم فيه الكفر والإلحاد ... فلم تعد تفيدهم في ضن مواسمهم وشحها لا توسلات إسحق العطاش ولا بل الفراش ... فديوان شاعرنا قد حوى الكثير من أمثال هذه الموشحات التي يضيق المقام عن سردها. وأما في الأشعار الغزلية فلقد فاضت قريحة الشاعر المطبوع بالشيء الكثير ، ومن أغرب ما رأيته فيها قوله من قصيدة له مشهورة مطلعها

هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا … وتقلدوا عوض السيوف الأعينا
وتبادروا للعاشقين فكلهم … طلب النجاة لنفسه إلا أنا
لا خير في جفن إذا لم يكتحل … أرقا ولا جسد تجافاه الضنا
لما انثنى في حلة من سندس … قالت غصون البان: ما أبقى لنا؟
وبثغره وبخده وعذاره … معنى العذيب وبارق والمنحنى
أقسى علي من الحديد فؤاده … ومن الحرير تراه خدا لينا
يا قلبه القاسي ورقة خصره … هلا نقلت إلى هنا من ها هنا
شبهته بالبدر قال ظلمتني … يا عاشق بالله ظلما بينا
من أين للبدر الأتم ذوائبا … أو مقلة أو ورد خد يجتني
البدر ينقص والكمال لطلعتي … فلذاك قد أصبحت منه أحسنا
لو أن رقة خصره في قلبه … ما كان جار على المحب ولا جنى

هذا نوع من أنواع أشعاره في الغزل وهي كثيرة لا يحصى لها عد ، أقل ما يقال فيها أنها وإن كانت قديمة لا تتمشى مع رغبات أبناء العصر الحاضر ، إلا أنها في ثناياها حشاشة شاعر تكاد تذوب رقة وتقطر حلاوة وفنا

يتبع

دمشق — **حسني كنعان**

أدخلى بى يا شرميون على طفــــلى أودعهم الوداع الرهيبا
فسام إذا تحجب صدرى وجدوا صدرك الحفى الرحيبا

ثم تبارك – خاطئة التاريخ – الحب الطاهر بكلام كـكلام المتصوفين ، تقول :

ولدى اهجروا القصور فإنى قد وجدت النعيم فيها غريبا
ثم تمنحها ضيعة للحب ..

وشوق بعد كل هذا حريص على أن يترك ساحة كليوباترا نقية .. فهو يبارك هذا الحب أيضا ، ولا يجنى على هيلانة فتقع تبعة موتها على كليوباترا ، فيخترع معجزة « حقة النجاة » ضاربا بالواقعية عرض الحائط ، فى سبيل الوصول إلى الغرض الأول والأخير .. ثم لا يترك كليوباترا إلى راكعة أمام تمثال إيزيس تائبة ، مستغفرة ، مسترجعة ، ملقية تبعة خطاياها على الحياة .. فى فلسفة واهية الأساس ، وإن كانت متساندة ؛ بعد أن هيأ لها شوق ذلك الجو الذى أسلفنا تحليله ..

ولحظة الانتحار – وإن مرقت كالبرق – إلا أنها أضاءت بالأمل الذى يريد أن يتشبث بالشباب ، فيمنعه شئ فى النفس .. كما تجلى ذلك فى قولها :

الملكة : عجل فديتك
أنطونيو : لا .. لا بد من ثمن
الملكة : كرائم المال
أنطونيو : ما للمال مقدار

° ° °

الملكة : إلى الأفاعى ؟
أنوبيس : لا إلى الحراب
الملكة : رأيكما فى الكث والذهاب

° ° °

زينون : أتعلم يا غلام على عشقاً
حابى : دع الإنكار قد برح الخفاء
زينون : ومن أنبأك
حابى : أنت
زينون : وكيف ؟
حابى : تهذى .. فتفضحك الوساوس والهذاء

° ° °

الملكة : ماذا وراء الجندى ؟
الحارس : رسالة من عبد هل تأذنين ؟
الملكة : أذ

و – شعر المسرحية :

فى هذه المسرحية قصائد خالدات يسجلها تاريخ الأدب للأجيال المتعاقبة باحترام صادق عميق ، وهو مؤمن بشاعرية شوق .. فلو سأل سائل ما هو الشعر اقرأنا له : « يا طيب وادى العدم » ، ولقرأنا له « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » ، ولقرأنا له : « زنبقة فى الآنية » ، ولقرأنا . « نام مركو ولم أنم » .. ثم سكتنا .. وهو – أى السائل – لا بد شاعر بما سأل عنه ..

فهذا الشعر ليس فى حاجة إلى الإقناع بأنه شعر ؛ إنه مناجاة عاطفية ذاتية إنسانية ، مناجاة آتية من بعيد – كالأمواج المنسابة فى ريث – تأخذ طريقها إلى نفسك فى رفق ، وصمت وعمق .. فتصغى إليها بكل حواسك ، وكأنك تصغى إلى حبيب وأنت نشوان غائب فيه ..

أراد شوق أن يناجينا مناجاة العدم ، فأتى بنشيد الموت .. وقد مثله حقا ، فاستطاع أن يمثله لنا ، وأن يجذبنا إليه ، وأن يحملنا معه ..

ذلك الموت الحالم الريح الذى قدمه لزمة الانتحار كليوباترا .. ذلك الوادى الطيب ، حيث الهروب مما لا نطيق ، حيث العزلة ، حيث تلاقى كليوباترا حبيبها ، وتكون له خالصة ويكون لها كذلك ..

ما أجمل هذا الوادى ، وما أحبه للنفس اليائسة الراغبة فى الانتحار .. إن وادى شوق هذا هو وادى العدم حقا .. إنه واد « لم تمش فيه قدم » مجدب خال . إنه الموت ... وحلق مع شوق وارتفع بخيالك واسبح مع الشراع الفضى الذى يسرى « كالحلم فى الغمض » ، وهو ثابت متحرك ؛ لأنه حلم « يجرى

ولا يجرى » ... واسمع لأحزان الموت المريح ، لهذا النداء الحزين :

يا موت مل بالشراع   واحمل جريح الحياة

وانظر مع شوقي لهذا الفلك والمحه ، إلمحه من بعيد ، وهو يخترق اليم (تحسبه نجما ...) ، وتأمل سلبية هذا الزورق ، فهو ليس به ملاح ، وهو :

من نفسه يجرى   لم يجره مجداف

وهو يجرى ولا يجرى ... إنها أمور محيرة ... إنه الموت ، لا بلاغة يجول فيها العلماء ... وهنا يخجل التحليل والتشريح ... إنها أنفاس شاعر قد بثها في كل شطر ... أما النغم في هذه القصائد فهو يبدو في اللفظ والوزن والتركيب ، وفي أبعد من هذا في نفس الشاعر التي امتلأت بما يقول

أما هذا النغم فهو همس صادق حزين ، مستريح يأوى لحزنه ... حسبك أن تنصت لهذا الشعر ، فتحسب أنه أغان تهمس بها نفسك أنت

وهي كلمة قصيرة عن هذا الشعر الرفيع في هذه المسرحية ... وإذا بحثنا عن عثرات فنية في شعر شوقي في هذه المسرحية فلن نجد ما يهبط بشاعريته ...

فما يقوله دائما له مدلول وليس فيه فضول ...

فهو يتهالك على الشعر لينظم ؟ بل عنده ما يقوله ، بل ما يجب أن يقوله ...

وإذا أردنا أن نلتمس شعرا ضعيفا فلنلتمسه في أبيات متبادلة بين أشخاص المسرحية ... وذلك لطبيعة الشعر المسرحي ... وللشاعر عذر في ذلك إلى حد ما ، فهو لا يستطيع أن ينقل إلينا الكلام العادي الذي يجرى على ألسنتنا ، ولا يستطيع أن يمثل لنا حياتنا اليومية إلا بمثل هذا النظام ...

والذي نلاحظه بجلاء أن شوقيا أسير لجلجلة الشعر العربي القديم ، وذلك واضح جدا في كثير من قصائده الطوال في هذه المسرحية ، مثل :

« وداعا كليوباترا إلى يوم نلتقى . . » ، « اليوم أنصر باطل وضلال . . » ، « على الآن منقذى على . . » ، « أمانا إله الحرب ما أنت صانع . . » ، « روما حنانك واغفرى لفتاك . . »

في كل هذه القصائد يحمل شوقي روح الشعر العربي القديم ولا يمنع هذا من أنه يصف الحال ويعبر أحسن التعبير . . وتتجلى هذه الروح حينما ينفرد شوقي بنفسه ويطلق لها العنان على ألسنة أبطاله ، وكأنه يثأر من قيود الحوار

وخلاصة رأينا في شوقي هي أننا — كما يقول أستاذنا الجليل الزيات بك « قد علمناه بالدرس ، وعرفناه بالصحبة ، فما انخذل يوما في تحليقه وإسفافه عن مواقف العبقرية . . ولئن كان في شعر شبابه مأسور الفكر ، محصور الخيال ، محدود النظر ، لا يعبر إلا عن رأى القصر ، ولا يصور إلا بألوان البيئة ؛ لقد كانت هذه الحقبة الرسمية غيبة للشاعر عن نفسه ، وذهولا منه عن وجوده ، وقديما كانت صلات الشعراء بالملوك والخلفاء عاهة الشعر وآفة العبقرية ؛ فلما أعتقته الحرب من رق الوظيفة ، وأطلقته إنجلترا بالنفى إلى الأندلس ، تيقظ فيه الرسول الشاعر والحكيم الصامح . . فحلق بخياله في كل جو ، وسطع بعقله في كل أفق ، وشدا بالإسلام والعروبة شدوا ردده كل لسان واهتز له كل قلب . . ثم زاد في القيثارة العربية الأوتار الناقصة . . فأضاف الشعر القصصي ، والشعر التمثيلي ، إلى شعرنا الغنائي ، فكان بذلك وحده : الشاعر الكامل »[1]

(السويس)   حسين كامل عزمي

(1) في أصول الأدب للزيات بك

عبد الرحمن بن الأشعث

للأستاذ حمدى الحسينى

لم يكن فى العراق رجل أبغض إلى الحجاج من عبد الرحمن ابن الأشعث لخيلائه وزهوه وطموحه وعلو همتـه . ولم يكن فى العراق رجل أبغض إلى ابن الأشعث من الحجاج لقوته وحزمه ويقظة عينه وقلبه. كان الحجاج يقول : والله ما رأيت ابن الأشعث قط إلا أردت قتله . وقد رآه ذات يوم يختال فى مشيته مزهوا فقال لبعض أصحابه : انظر إلى مشيته والله لهممت أن أضرب عنقه . فنقلت هذه القولة إلى ابن الأشعث فقال : وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه فأجهد الجهد إذا طال بى وبه بقاء . ولـكن كره الحجاج لابن الأشعث هذا الـكره وموجدته عليه كل هذه الوجدة لم تمنع الحجاج من انتدابه للأمر الخطير ، وتوجيهه إياه للتغلب على الصعوبة العظيمة والخطب الجسيم

نقض رتبيل ملك الترك شروط الصلح بينه وبين المسلمين فساء ذلك الحجاج وكربه فأمر عامله على سجستان أن يغزو رتبيل فيستبيح أرضه ويهدم قلاعه ويقتل مقاتلته ويسبى ذريته فصـدع بالأمر وغزا رتبيل فتظاهر الترك أمام الغزاة بالهزيمة وما كاد المسلمون يوغلون فى البلاد حتى أطبق عليهم أهلها إطباقة محكمة، فذعر المسلمون ذعراً شديداً واضطروا أن يطلبوا الصلح من رتبيل ولـكن أى صلح ؟ طلبوا من رتبيل أن يصالحهم على أن يدفعوا له مبلغا عظيما من المال لقـاء أن يفتح لهم طريقاً للانسحاب فانسحب المسلمون وهم فى أسوأ حال . وصل خبر الهزيمة إلى الحجاج فقام له وقعد وبرق ورعد، فكتب إلى عبد الملك يقول إن جنـد أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل. وتداجـترأ العدو بالذى أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم. وقد أردت أن أوجه إليهم جنداً كثيفا من أهل المصرين فأحببت أن أستطلع رأى أمير المؤمنين فى ذلك فإذا رأى لى بعثة ذلك الجند أمضيته، وإن لم ير ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده مع إنى أتخوف إن لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا أن يستولوا على ذلك القطر كله . فأجابه عبد الملك: أتانى كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم . وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيى من توجيه الجنود وإمضـائها إلى ذلك القطر الذى أصيب فيه المسلمون أو كفها ، فإن رأيى فى ذلك أن تمضى رأيك راشداً موفقاً

ما كاد يصل أمر الخليفة إلى الحجاج بالتعبئة العسكرية حتى عبأ أربعين ألفا من أهل الـكوفة والبصرة ، أعطاهم أعطياتهم كاملة وسلحهم بأحسن السلاح وحملهم على أروع الخيول وأخذ يستعرضهم استعراضاً عسكريا فلا يرى رجلا تذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته، ولـكن من لهذا الجيش (جيش الطواويس) كما كان يسميه الحجاج يقوده فيؤدب به أولئك المشركين الغادرين ويسترجع بلاداً إسلامية تكاد تطير من حظيرة الإسلام؟ ليس لهذا الأمر العظيم غير عبد الرحمن بن الأشعث. فولاه الحجاج على قيادة هذا الجيش العظيم برغم نصيحة إسماعيل بن الأشعث له بعدم تولية عبد الرحمن إذ قال للحجاج : لا تبعثه فإنى أخاف خلافه والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطاناً

طار عبد الرحمن إلى سجستان فما كادت قدمه تطأ أرضها حتى جمع الناس فصعد المنبر ثم قال : أيها الناس إن الأمير الحجاج ولانى ثغركم وأمرنى بجهاد عدوكم الذى استباح بلادكم وأباد خياركم . فإياكم أن يختلف منكم رجل فيحل بنفسـه العقوبة . اخرجوا إلى معسكركم فعسكروا به مع النـاس . فعسكر الناس كلهم فى معسكرهم فبلغ ذلك رتبيل فكتب إلى عبد الرحمن يعتذر إليه من مصاب المسلمين ويخبره بأنه كان لذلك كارها ويسأله الصلح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج . ولـكن عبد الرحمن عرف أن رتبيل يخادعه فلم يعبأ بقوله وسار بجيشه الجرار حتى دخل بلاد المشركين فانكمش المشركون أمامه انكماش هزيمة وخضوع، وأخذوا يخلون له بلادهم بلدا بلدا

وحصونهم حصناً .. حصناً ، فأخذ عبد الرحمن كلما حوى بلداً بعث إليه عاملا وبعث معه أعوانا ، ووضع البرد بين كل بلد وبلد ، وجعل الأرصاد على المرتفعات والشعاب ، ووضع المخافر المسلحة فى كل مكان مخوف . حتى إذا حاز من أرض المشركين قسطا عظيما وملأ يديه من الغنائم والأموال وقف الزحف وقال : نكتفى بما أصبناه هذا العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها ، ثم نحتل فى العام المقبل ماوراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم فى كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم ونمتنع حصونهم ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله

كتب عبد الرحمن بن الأشعث إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو وبخطته العسكرية التى وضعها للاستيلاء التدريجى على بقية البلاد المغزوة فأجابه الحجاج : إن كتابك أتانى وفهمت ما ذكرت فيه وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح إلى الموادعة . قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد أصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم فى الإسلام عظيما . لعمرك إنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندى وحدى لتحيي النفس عمن أصيب من المسلمين

إنى لم أعد رأيك الذى زعمت أنك رأيته رأى مكيدة ولكنى رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك والتياث رأيك فامض لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسلب ذراريهم ثم أردفه كتابا آخر قال فيه :

مر من قبلك من المسلمين فليحرثوا ويقيموا فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم . ثم أردفه كتابا ثالثا قال فيه : امض لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس فخله وما وليته . بمثل هذه اللهجة القاسية المذلة يخاطب الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث الحاقد الطموح القابض على زمام أكبر جيش مؤلف من أهل البصرة والكوفة الحاقدين على الحجاج وبنى أمية . فى حين أن ابن الأشعث قد عمل عملا حربيا صحيحا أنتج نتائج طيبة وارتأى رأيا عسكريا فيه الشئ الكثير من الحكمة والحزم ، فكان على الحجاج إما أن يقره على رأيه أو يناقشه مناقشة تقوم على حفظ الكرامة وعدم إثارة كوامن الحقد فى نفسه . ولننظر الآن الأثر الذى أحدثته كتب الحجاج لابن الأشعث

جمع ابن الأشعث الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنى لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم فى كل ما يحيط بكم نفعه ناظر ، وقد كان من رأيى فيما بينكم وبين عدوكم رأى استشرت فيه ذوى أحلامكم وأولى التجربة فى الحرب منكم فرضوه لكم رأيا ، ورأوه لكم فى العاجل والآجل صلاحا ، وقد كتب إلى أميركم الحجاج فجاءنى منه كتاب يعجزنى ويضعفنى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى أرض العدو وهى البلاد التى هلك إخوانكم فيها بالأمس وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتم وآبى إذا أبيتم . وما كاد ينتهى ابن الأشعث من خطابه حتى هب الجيش محتجا على الحجاج ثم أفضى الأمر إلى خلع الحجاج وإعلان العصيان له والخروج عليه ، وهذا ما أراده ابن الأشعث الطموح المزاحم للحجاج على إمرة العراق . خلع جيش العراق الحجاج وبايع ابن الأشعث فهب عبد الرحمن يقود الجيش إلى العراق ليحتله ويتربع على كرسى الحكم فيه . وكان ابن الأشعث يضمر أكثر من هذا فقد كان يضمر خلع عبد الملك وانتزاع الخلافة منه . وصل خبر انتقاض الجيش إلى الحجاج فأبلغه الحجاج فى الحال إلى عبد الملك فكان وقع الخبر على الحجاج وعبد الملك عظيما جدا لأنهما كانا يقدران لابن الأشعث قدره ويعرفان مبلغ حقد أهل العراق على الحجاج والأمويين كل المعرفة ، ولكنهما استعدا لمقاومة ابن الأشعث بجيوش أهل الشام فتولى الحجاج القيادة بنفسه وسار بجيشه يستقبل ابن الأشعث فى طريق الأهواز فوقعت بين الفريقين معركة دامية انهزم فيها الحجاج فاستولى ابن الأشعث على البصرة فبايعه أهل البصرة جميعهم على حرب الحجاج وخلع عبد الملك ، ولكن الحجاج لم يضعف أمام هذه الصدمة فاستعد لمعركة أخرى وقعت بينه وبين ابن الأشعث فى الزاوية دارت فيها الدائرة على الحجاج أيضاً فاستجابت مدن العراق لابن الأشعث بعد هذا النصر فتوجه إلى الكوفة فخرج إليه أهلها يستقبلونه استقبال المنقذ لهم من براثن الحجاج فأصبح الحجاج ولا أثر لسلطانه على البصرة والكوفة ، فاتصل الخبر بعبد الملك ففزع له وتوقع أسوأ العواقب

٥ – رحلة إلى ديار الروم

للسيد مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

فى الطريق الى القاهرة :

وبعد الشمس قطعنا الصخور وبان بان الجفا والشرور ، ولم نزل نقطع بحيرة بحيرة ، وقرية قرية ما بها طيرة ، إلى أن وصلنا بإسعاف اللطيف الخبير ، إلى محل بالإمداد مطير ، كاد لولا المونة والتبشير ، تحصيل الانقلاب فى الطيار الكبير ، ورجفت القلوب واتسع رتق الخطوب ، وكان الليل دم وزاد الهم ولم نتم إلا اليسير ، لغلبة وارد ، وهم مبير ، وخرجنا فى الصباح المنير للبر المبر بأهله ، وانتظرنا الماش ، ولحقناه فى قياسة ، بانتعاش ، وطاب ممنا الربع الربيع ، إلى أن وصلنا إلى (مونسه) وبتنا بهـا بليلة مؤنسه ، وزرنا من حولها من سادات وأعيان ، ثم إنا خرجنا إلى البر نروح النفس بمشاهدة ملك البر وأودنا أن نسير على ظهورالحير ، نحو (بولاق) لعظم اشتياق ، فرأينا المركوب لا يركب ، فعدنا إلى المركب ، ثم سرنا إلى أن سامتنا (وردان) الساحبة بمارها على غيرها ذيل الخيرات وزرنا رجالها السبعة الفائقين على النجوم السيارة والميزان . ثم خرجنا إلى (بحر القضاى) وحزت بزورته برا مرامى ، ثم وقبل أن وصلنا (بحر الحسين) قرأنا الفاتحة لسيدى إبراهيم ساكن الجزر ومن حوله من سادات له على النير ميز ، ولما وصلنا الجر ، خرجنا ثانيا إلى البر ، وسرنا وقد طاب المسير ، إلى القاهرة ذات الوجه المنير ، وبهجوم الليل واختلاف الميل حولت الماشات إلى ناحية البر ، ولقد لهم حسن المقام والمقر ، وبتنا فيه والبسط يصافينا نتسامر مع الإخوان ، ما يكون وما كان ، وعلت أصوات الملاحين ، بالنغمات المصرية والتلاحين ، وغنى ممسك الدفة مواليا فى المديح النبوى له حقه فاستمددناه وكتبناه وهو :

خذنى معك يادليل الركب يامنصور   أزور قبر النهاى فج منـه النور

قال الدليل ياصبى تقدر تدوس الدور   فقلت عيان زين يجبر المكسور

وثنى فقال :

لاقرص صاحب الشبيه كتم ماباح   نايم حبيبو على فخذه وهو مرتاح

نزلت دموعو فقال لو ليش تبكى ارتاح

قال لو قرصنى الحنش فى العقب يامصباح

قال النبى للحنش لم صبت صديق   ذا مؤنسى فى ظلام الليل ورفيق

نطق الحنش للنبى بلسان تحقيق   قال لو أتيت الزيارة وام تعويق

« ثم إنا لما أشرقت الغزالة ، على وجه أخت الخالة ، سرنا بالليان إلى أن أتينا بطن البقرة ، فاستعذنا بالله من هوله متوسلين بسورة البقرة

فى بولاق ، وفود الاخوان والمجاورين فى الأزهر :

« ولم ندخل بولاق إلا بعيـد العشا ، وعلينا ضوء القمر مد رفشى ، وما استقر بنا المقام غب الوصول للمقر المكين ، حتى ورد علينا إخوان من المجاورين منهم الشيخ أحمد الأشبولى الرزين ، وإسماعيل افندى وغيرهما من محبين ، وسرنا معهم (اتكية الأعجام) وبتنا آمنين بحفظ مكين ، وفى الصباح وفد الأخ الداوى الشيخ محمـد الحفناوى ، ومعه أحباب لهم لحبل الود انتساب ، ودخلنا ونحن فى سرور الدبقة ، وزرنا الجناب العالى مقام السيد السند الأوحد الحسين ، ونزلنا (وكالة محسن الجديدة)

فبعث بأخيه وابنه إلى أهل العراق الثائرين يعرض عليهم شروطا للصلح تقوم على عزل الحجاج عن العراق وتولية ابن الأشعث مكانه فرفض الثوار شروط الصلح رفضا باتا ، فأخذ الحجاج يقاتل الثوار برغم ما تركته محاولة عبدالملك الصلح مع الثوار فى نفسه من الألم

جرت بين الفريقين حروب كثيرة ومعارك حامية الوطيس فى دير الجاجم بالقرب من الكوفة كانت نتيجتها انهزام جيش ابن الأشعث ففر ابن الأشعث إلى بلاد رتبيل فدخلها لاجئا وعاد الحجاج إلى ما كان له من سلطان فى العراق

وكان من أمر ابن الأشعث أن قبض عليه رتبيل وقتله وقبض على أهل بيته وأرسلهم مع رأس عبد الرحمن إلى الحجاج كسبا لمرضاته

صبرى الحسينى

وبتنا بها ليلة الأربعاء، ثم بتنا ليلة الخميس بسطوان وذهبنا بجنها الديماس، مع إخوان لهم طيب أنفاس، ورد فيه علينا أحباب أجله، من كل واله ومدله، وفيه أخذ الطريق واندرج في سلك أهل هذا الذوق، الشيخ أحمد المقدم، والسيد نجم الدين الخيري(1) الأقدم، والسيد حسين المملي (2) القدسي، والشيخ محمد المغربي عتيق الكأس الأنسي، ثم أخذ الشيخ أحمد الشبراوي. ثم إنا بتنا ليلة الجمعة ذات الإشراق واللمعة، وكاد أن يمنعنا السحاب، من الخروج إلى صلاة الجمعة، بجمع الأحباب، ثم إنا صلينا في جامع قريب من المحل، يعرف (بالجامع الجالي) وفي عشية يوم السبت المطار أخذ الأخ الشيخ محمد الزهار، وغيره من الأخيار، وفي يوم الأحد أخذ الشيخ أحمد المروسي، ثم حضر الأخ الشيخ محمد الحفناوي؛ وسرنا معه إلى زيارة السيدة نفيسة ذات الكأس الداوي، ومعنا جماعة لكل خير جماعة، ممن أخذ الطريق، وغيرهم من محب هذا الفريق، ولما خرجنا من باب النصر، دخل وارد السرور القلب وحل ذلك القصر، وما زلنا كلما مررنا على مرقد ولي ملي، نبسط كف الطلب ونترجى فيض الملي، إلى أن حاذينا (قلعة الجبل) وحكمنا أنها تقرب من القدس النافية الخبل، وما زلنا نتفرج ونتدرج ونقرأ الفواتح إلى أن وصلنا دوح روضة حضرة السيدة النفيسة، الدينة نفيسة، وكنت امتدحت جنابها لأشواق رسيسة، وأثبته في (الخلة النصرية في الرحلة المصرية)

« وعطفنا على زيارات كثيرة، وأحباب أقدارها كبيرة، وعجبنا على حانة أرباب الصدق والتصديق، من أسلافنا بني الصديق، وجلسنا عندهم حصة يسيرة، لتمسي بهم الأمور العسيرة يسيرة، وزرت في هذه الكرة المنيرة الم المرحوم أحمد افندي

استمرار الشيخ في نشر طريقته في مصر

« ثم أكرينا على زيارة الأعلام ومنهم أشهب بن عبد العزيز العامري المصري، وسيدي عبد الرحمن بن القاسم ومنهم إصبغ ابن الفرج، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلمة الأزدي المصري الطحاوي، ومنهم أبو بكر أحمد الدقاق، وإسماعيل المزني، والشيخ شاهين والشيوخي وغيرهم، ومنهم سيدي عمر بن الفارض، وزرنا الجلال المحلي، وكان يوم مولده الذي ما مر من عيش به يحلى، وزرنا الجلال السيوطي، وسيدي إبراهيم الجعبري، وابن رفاعة، من فيضه فيض بني رفاعة، وعدنا للأماكن

« وكان الشيخ يوسف الحفني (أخو الشيخ الأمجد الشيخ محمد) جاءني بقصيدة فريدة وعدته بإثباتها في هذه الرحلة، وجعلت جائزتها الإجازة بما أجازني به كل رحلة، ومطلعها:

(سرائر سر السر بالحال تعرب ... وداعي التجلي بالمدائح يطنب)

وأما الإجازة التي جعلتها الجائزة المفيدة الخ فصورتها:

(لربي حمدي ماله أتقرب ... وشكري مامنه أخاف وأرهب الخ)

« ثم أخذ طريق الأخيار الشيخ علي شقيق الشيخ محمد الزهار، والشيخ موسى والد المروسي، وإسماعيل افندي، والسيد حسن نجل السيد محمد القشقشي، وتقدم الشيخ حسن اليمني وطلب الإجازة لفاضل نبيل اسمه الشيخ إسماعيل بن غنيم فأجزناه ثم التحق بالطريق

« وفي يوم الاثنين دعانا محب زين، يدعى أحمد افندي، فقصدنا زيارة سيدنا ومولانا الحسين

« وبعد تمام الزيارة، ودعته وأودعت قلبي لديه، فتلقانا جناب العارف بربه الشيخ أحمد الملوي، وأخبر أنه كان مقصده الاجتماع، ثم بعد السلام والمصافحة، قرأنا الفاتحة، ودعا بدعوات الأطياب، فسررت بدعائه ورأيت عليه أبهة الصالحين، أهل القرب الفالحين، وحمدت على هذا التقارب العالمين

« وتطلبت النفس الاجتماع، جناب الشيخ محمد العيساوي فعرض له بعض الحواشي، بالجمعية بالفقير، فقال المحبة في عدم الظهور سيما في هذا الزمان النادر الواشي، وحصل الاجتماع في الباطن فقبلنا هذا الاجتماع المورث انتعاشي

« وفي يوم الثلاثاء دعانا لداره الحب المتين الحاج علي بن المرحوم الحاج فخر الدين، وفي ليلة الأربعاء دعانا أولاد العالم العلامة الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي، وهما الشيخ محمد والشيخ علي

---

(1) مفتي الحنفية بالقدس توفي سنة (١١٧٣ هـ)

(2) ترجمه حسن بن عبد اللطيف الحسيني في كتابه «أعيان القدس في القرن الثاني عشر» قام مقام شيخ السجادة البكرية بمصر توفي بالاستانة سنة (١١٩٦ هـ)

في الجامع الأزهر :

« وزرنا الجامع الأزهر ، وصعدنا الرواق الشامي الأبهر ، ودعونا للساعي في عمارته بنيل المهار في دنياه وآخرته

وذهبنا بعد أكل ضيافتهما لحمام صديقنا الحاج محمد المحب الأوحد ، وزارني في محل قراري ، جناب الشيخ عبد الله الشبراوي وطلب الإجازة والدعا لولده الشيخ عامر ، وأخبرت أن صديقنا الأقدم ذي المقام الإحاطي ، الشيخ أحمد الإسقاطي ، شرف المحل يوم توجهنا للزيارة فلم يقسم نصيب بالاجتماع لسوء الحظ

« وقد ورد علينا جمع من المجاورين ، وأخذ كل منهم الطريق لفرط حب متين ، وغيرهم من أحباب ربما يبلغ عدم الأسنى عد الأسماء الحسنى ، أو ينوف على عدها ويزيد

الطريق البري الى القدس صحبة الوزير المشير عثمان باشا

« وكنا أكرينا مع الحاج خليل العريشي صحبة الوزير المشير عثمان باشا (٣) لحصل التيسير ، وتوجهنا بعد ظهر الخميس ، الرابع عشر من شعبان المبارك التأسيس ، وودعنا الإخوان منهم داخل البلد ومنهم خارجها لفرط حب مصان ، وبتنا لدى (بركة جامع العرب) منفردين . ولما صاح النفير من طرف الوزير ، تأهبنا للسير ، وسرنا غب صلاة الصبح بيسير إلى (الخانكة) بوجه منير ، وبتنا فيها ، ثم إنا سرنا إلى (بلبيس) فقلت :

ثم سرنا إلى فنا بلبيس   نتهادى تخراً كامرئ قيس
وتلاقيت بالصديق الأنيس   ذا خليل مفتي حمى التقديس
ثم زرنا (النوادي) خير نفيس   وبها بت مثل نوم عروس

وتأخر بعض الخدم عن أمر يلزم ، فقلت نجاك الله من شره ولا نجاك من بره ، وأغرقك في طمطام فضله ، وأعرفك من خزام وصله دون فصله

ورحلنا بهمة للقرين   أرتجي إسلام شر قرين

(٣) لعله عثمان باشا أبو طوق كان والياً للشام سنة (١١٧٧هـ)

وإلى صالحية قد سرنا   وأقمنا يوما لراحة عين
وقرأنا للحاجري قبل نأي   حانها فاتحات أبواب زين

نخيل الصالحية

« وفي الصالحية من النخيل ، ما يحيل العقل البخيل أن يضاهيه ، مثيل لكن به تخيل ، عند ذوي الأعراق ، أنه يقارب كثرة سواد العراق ، وفيها طائفة الصوالحة ، التي نفوسهم للتأديب غير صالحة ، وأخرى تدعى القصاصة ، المؤرقة للمارة الفضاضة النصاصة ، والعجب من حكام ، ما لها في معرفة التدبير أحكام ، ولا سعي ووعي في تأمين البلاد ، وتسكين متحرك غضب الشر المياد ، ولا عدل في الأمور ، بل عدل عنه إلى جور يمور ، ونرجو من المنان الغفور الحنان الشكور ، أن يسهل حزن هذه الصخور ، بمحو أهل الضلال والفجور ، وأن ينظم شمل العدل في الأحكام الوفور النور ، على يد المؤيد الظافر المنصور من السلام ، المعيد لوطنه الإسلام ، سفاح الأموال ودماء أهل الانحلال ، من ربقة الدين بانتحال

من القناطر الى بئر العبد :

« ومنها توجهنا بوجه ناضر لنحو القناطر

بحب الحبيب وجداً نخاطر   ونخوض المياه أزعج خاطر
وتوسلت في سبا ثم فاطر   أن نجوز الربا بشم المواطر
ثم جئنا بئر الدويدار نسمى   باجتهاد وللأوامر ندعى
وأتينا قطية وقطين ؟   ونزلنا الأولى بجهد لمرعى

ثم قطعنا تلالاً رملية ، لا تخرج في الأشكال الرملية ، وأتينا (بير العبد) الآبق بفرط ملوحته ، عن منزل حلاوته وعذوبته ، إذ الأصل في المياه الجارية ذلك ، فمن تغرب عن وطنه فهو طريق الإباقة سالك

« ولما وصلنا الحطة ، وقلنا لدى بابها حطه ، بكت عيون السحاب من غير انسكاب

من البريقات الى خان يونس :

« ومنها سرنا إلى « البريقات » عندما لاحت البريقات ،

وقامت أطيار الأوقات من غير ميعاد وميقات ، حتى أتينا بعد ما مررنا (العريش) والجناح منا بالوجد مريش ، ثم (الدعقة) الوحشة الرقمة والدعقة ، ومنها إلى (خان يونس) للوارد يونس وقلت فيه أشرب صافيه موالياً

لما أتينا لخان عمره يونس بالأنس فزنا لأنه للغريب يونس عوذته بزآة هود مع يونس من شر قوم لئام ما بهم مونس

في غزة :

« ولما بلغ خبر قدومنا صديقنا الرئيس ، محمد بن المرحوم الرئيس محمد الحليس ، ووالده صديق محمود، ورفيق رفيق ودود ، فتلقانا ولديه أنزل وفي الإكرام أجزل ، وكذلك صديقنا الحاج محمد مكي (٤) ذو الود الزكي المسكي، وأولاده وأولاد ولده الذكي محمد جلبي ، وأرسل الأخ الممنوح انصياعنا الشيخ إبراهيم بن صفر أغا بعد اجتماعه بنا هدية توجب ثبوت ما بنا وأصحها بيتين . (يقول له فيهما إنه لو كان لا يهديه إلى أن يرى شيئا على قدره ، لكان واجب أن يهديه سدرة المنتهى بأثوابها الخضر)

« وصليت الجمعة في جامعها القديم الجامع ، فرأيته يحتاج لعمارة ، كالبلدة التي برها الخيرات جامع ، وبحرها بالمسرات هامع ، وهواها المدى لعرفها الندى لامع بشكل حسن به القلب طامع ، وماؤها العذب السلسال ، يشفي العليل ويطفي الغليل من غير سال

نحو الرملة والى القدس

وفي ليلة السبت الأول من شهر رمضان المعظم توجهنا نحو الرملة والرئيس معنا ، وبتنا في فتوح مابه سدودلدى (قرية) سدود وزرنا سيدي سلمان الفارسي والمتبولي ، وعند الوصول إلى الرملة بتنا لدى مفتيها الخيرى (السيد محمد) وفي ثالث يوم من شهر الصوم من يوم الاثنين أتينا الديار المقدسة فرحين بملاقاة قرة العين ،

ودخلناها قرب الغروب بقلب طروب . فلما دخلنا الباب أخبرت أن ابنتي علما متمرضة عن ألم رجلها ، وبعد السلام عليها والتحلي بمحاسن لديها ، قالت لي : « يا أبتي قد تموقت على » فقلت « يا بنية الأمر في هذا ليس إلى » ثم عزتني في الشيخ نور الدين وقالت : « تسلم أنت يا أبتي فيه » فقلت : « وأنت تسلمي بجاه مصطفيه » وما زال مرضها الجزئي يزيد ويعتد إلى ليلة الأحد ، التاسعة من شهر رمضان وفي سحرها الحنان بالأحزان سلمتها في يد جدها العتيق : وترجمتها في كراسة لما سقتني من الشراب المر كأسه ، وسميتها (الغيوب الملجمة والغيوث المسجمة ، في ترجمة ابنتي المنيفة قدرا سما ، الشريفة الصديقية البكرية علما) وذكرت رحلتها عنا في (الكلمة المرحمية القدسية في القامة الأنسية القدسية) . وكنت لما ورد هذا الوارد على أشغل القلب وأشغل اللب ، وحرك ساكن ما لدى فلم أتم هذه الرحلة إذ ذاك بل أخرته إلى هذا الشهر الشوالي

« وكان أرسل الأخ الأمجد محمد الحنفي المفرد لنا كتابا مصدرا بقصيدة صحبة الأخ الشيخ محمد المغربي ، فنهب القفل وضاع الكتاب الفريد ، ولكنه أنشد لي أبياتا منها تصيد. فأجبته حالاً وكان ذلك ضحوة الأحد التاسع عشر من ذي القعدة سنة (١١٤٨هـ)

« ولما كنا في المنازل الكنانية وعد الأخ الشيخ محمد بزيارة الأماكن القدسة ، قدم علينا في منتصف جمادى الثاني وصحب معه جلا من الهدايا منها الواهب لأخيه الفاني ، فرأيت فيها ما ذكرته

« وكنت أرسلت له القصيدة السابقة من غير كتاب ، فلما توجه صديقنا السيد الكردى ، صحبته بكتاب إلى الأخ محمد الحنفي قلت له فيه : إن الشيخ محمد المغربي كان ورد علينا شكيا من نفسه ، وكان أضاع بعض أمتعته نهبا ، وأخذ خرجه الحاوى على القصيدة ، وأنشدنا بعض أبيات ، وقد حذونا أثركم وأرسلناها لكم ، ونهدى أخاكم الأكرم السلام ، وجميع من لديكم من إخوان

« وأرسلت لجناب وزير الشام سليمان باشا (المعظم) إلى معان ، كتابا في أواخر شوال ، وصدرته بأبيات حسان

(٤) من عائلة غزية ، كان حسين باشا بن مكى والياً للشام سنة (١١٥٥هـ)

وقد جاءنى كتابه ، بعد السلام والدعوات ، بالحج المبرور

« أنه لما ورد العبد الديار الرومية رأى عموم أهل نامية ، والقلوب وجلة سامية ، من السفر العجمى حامية ، متوافرة الأشجان ، وعقب حصول الصلح المطلوب على الوجه المرغوب ، صدر الإذن بالتوجه للقدس بعد الاستخارة ، وعانيا فى البحر المالح تيسيرا ، وأقمنا فى الكنانة ، وعدنا إلى القدس »

« وبعد عودة جنابه من الحج وأداء نسك العج والثج ، أرسلت كتابا مهنئا بالسلامة ، وحصول الكرامة ، فى منتصف صفر المبارك . كما أرسلت لحبنا الأمجد محمد جلبي بن مكى المفرد ، كتابا أهنئه بعوده للحمى ، كما أرسلت للصهر الجليل الشيخ إسماعيل النبيل كتابا ، وآخر سبق أضربت عن ذكره فقد من سبق »

الزيارة العليلية السنوية :

« ولما توجهت إلى الزيارة العليلية (مقام سيدى على بن عليل المصرى) فى أوائل صفر المبارك ، وجرى على اللسان مدح سيدى (يامين) وكذلك من بجواره صاحب الإفاقة (سيدى سراقة)

« ولما حللت نابلس المحروسة نزلت فى (الدرويشية) (٥) على جارى العادة جرى على الخاطر أول موشح لشيخنا الشيخ عبد الغنى (النابلسى) :

(دع جمال الوجه يظهر   لا تغطى يا حبيبى
كل شئ عقد جوهر   حليـة الحبس المهيب

فقلت مرتجلا :

أيها الصب الخبير   نسبا بنت العريب
غب بها فى الحب وأسكر   كاتم السر الغريب

« وأرسل مفتى السادة الحنفية ، داخل رملة فلسطين السيد محمد الخيرى ، كتابا مصدراً بقصيدة مطلعها :

أشمس أفق بدت فى دورة الحل   أم ومض برق تلاه صيب الحل

وكتبت جوابا عنها ليلة وصولها قصيدة على وزنها :

سرى لسربى عسى أسق من الملل
وانعم بشربى ليشفى القلب من علل الخ

واتبعها (أى المفتى) بديباجة إذ قامت فى نفس يعقوب السر حاجة فقضاها ، وفاز بمقتضاها ، وكان أرسل مع ولده الكبير ولده الوسط والصغير ، وأمرهما بالانتساب ، وبعده طلب الوسط بهاء الدين (الخيرى) وصية على ظهر كتاب الأوراد فكتبت له :

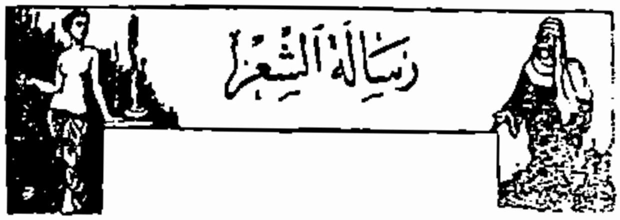
« وقبل أيام ورد كتاب من المحب الأخ الحنفى ، يقول فيه : إنا عزمنا على التوجه لحرم أمنكم صحبة الأخوين المتوجهين إليكم فعاقت الأقدار عن اللحوق بهما من الطريقين ، وإن شاء الله نلحق بهما فى منتصف ربيع الأول

« وكان قدومه منتصف جمادى الثانى (سنة ١١٤٩ هـ) وأقام لدينا مصحوبا بالظفر والتهانى إلى شوال المبارك وتوجه لوطنه

« وتحركت بعده منا الهمة إلى الحجة الموعود بها الفؤاد ، عقبه بثلاثة أشهر حيث الإذن وقع ، والشوق زاد ، وشرعت فى الرحلة لتلك البلاد سحر يوم الاثنين الثالث من صفر المبارك الوصف والعين ، وفى هذا التاريخ شرعنا فى الرحلة الثالثة المصرية والحجازية والشامية ذات الإمدادات النصرية الإعجازية . والحمد لله

« تمت الرحلة »   سامح الخالدى

(٥) نسبة إلى درويش باشا . كان والياً لأيالة دمشق وعمر فيها جامعا . توفى ٩٨٧هـ وتولى درويش باشا آخر ولاية الشام سنة (١٠٠٥هـ)



١ ـ حبيبتي السمراء

للشاب محمد مفتاح الفيتوري

حبيبتي سمراء   سمراء مثل الكروم
ناعمة كالضياء   حالمة كالنسيم
غريبة كالمساء   نقية كالغيوم
في مقلتيها السماء   في وجنتيها النجوم
في شفتيها الغناء   بين يديها النعيم
حبيبتي السمراء
أجمل حور السماء

* * *

أحب لون الخفر   في صوتها الملهم
وكبرياء النظر   وكبرياء الفم
وثغرها المختصر   ونهدها البرعمي
وخصلات الشعر   تموج أو ترتمي
كالسنبل المنتثر   في نسق محكم
على جبين نضر   توج بالأنجم
مثل جبين القمر
مغتسلا بالمطر

* * *

يا آلهات الصباح   ويا عذارى الجنان
اقطفن زهر الأقاح   والفل والسوسان
ومرن غيد الرياح   يفرشنه في افتنان
على المروج الفساح   والهضب والوديان
هيا طيور الصباح   فظللي المهرجان
غني وهزي البطاح   فإننا آتيان
لنا الغرام وشاح
لنا الربيع جناح

٢ ـ غموض

كم رحت أنظر للسماء محدقا   متشوق الرؤيا صباح مساء
أرنو إلى الفجر الجميل كساحر   حملت يداه ريشة عذراء
فمضى يخط على الفضاء رسومه   ويوزع الألوان والأضواء
وإلى الظهيرة وهي حلم مفزع   يتآلف الأموات والأحياء
والشمس في كف المجير توهجت   كأسا . . وشعت ماسة زرقاء
وإلى الأصيل وقد تدلى كرمة   أغصانها تتسلق الأرجاء
وكأنه فوق الروابي مسطف   نسجته كف تنثر الإغراء
وإلى المياه وقد تدفق جدولا   إزرق أمواها وشف نقاء
عربت بشاطئه النجوم وفصلت   من مائه أزياءها اللألاء

* * *

كم كنت أنظر للسماء وفي دمي   حلم يضج تمردا وإباء
فاليوم أنظر للتراب منكسا   رأسي على حصبائه استحياء

محمد مفتاح الفيتوري

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مقال لا ينسى للأستاذ الزيات :

هو مقال ظهر فى « الرسالة » منذ اثنى عشر عاما فكان له فى النفوس وقع ، وفى الآذان دوى ، وفى القلوب مكان

... وأشهد ما ذكرتنى به هذه المناسبة التى أرويها هنا ودفعتنى إلى الكتابة ، لأنى أذكره منذ أن قرأته وقبل أن أعرف صاحبه وبعد أن عرفته وربطت الأقدار بيننا برباط من الود العميق . ولست وحدى الذى أذكره فيما أظن ، ولكن يذكره معى الكثيرون ممن لا يسمحون ليد الزمن أن تطمس ما يؤثرون لغيرهم من قيم ويحفظون من كلمات !

أما المناسبة التى دفعتنى إلى الكتابة وأثارت القلم بين يدى وبعثت التاريخ من مرقده ، فهى سطور كتبها الأستاذ مصطفى أمين بك فى كتابه الجديد الذى أصدرته « أخبار اليوم » وأعنى به « عمالقة وأقزام » ... سطور أشار فيها إشارة عابرة إلى ذلك المقال وهو فى معرض الحديث عن الزعيم المصرى المظيم محمد محمود ، وهناك حيث مر مسرعا وكان يجب أن يطيل الوقوف ، وقال موجزا وكان يجب أن يطنب ويفيض :

« وفى سنة ١٩٢٩ قت بحملة فى مجلة آخر ساعة ضد نادى الفروسية ، وضد الكبراء الذين يتعالون على الشعب ... وذات يوم استدعانى رفعة على ماهر باشا وكان رئيسا للديوان الملكى وقال لى إن هذه الحملة قد تؤدى إلى إسقاط وزارة محمد محمود ، وذلك لأن محمد محمود رفض تقديمى إلى محكمة الجنايات !

وذهبت إلى محمد محمود وقلت له : إننى مستعد أن أقف الحملة مؤقتا وقصصت عليه حديثى مع على ماهر . فقال رئيس الوزراء : إنه يشرفنى أن تستقيل الوزارة بسبب الدفاع عن حرية رجل يدافع عن شعور المصريين ! وقال لى : لقد طلبوا إلى محاكمتك فقلت لهم : أنا الذى أمليت عليه هذه المقالات ، فإذا كان الدفاع عن شعور المصريين جريمة فأنا المجرم الأول !

وحدث بعد هذا أن كتب الأستاذ أحمد حسن الزيات مقالا فى « الرسالة » فى موضوع الطبقات وهاجم فيه بعض الكبراء ... فذهب أحد الكبراء إلى محمد محمود وطلب إليه تعطيل مجلة الرسالة ، وتصادف أنى كنت أزور محمد محمود فأخبرنى بما حدث ، وطلب منا أن نذكره فى اليوم التالى بالموضوع فى مكتبه برياسة مجلس الوزراء !

وقبل أن يذكره أحد بالموضوع .. كتب بخطه الأمر التالى : « يجب أن تشترك وزارة المعارف فى مجلة الرسالة ، وأن تعطى إعلانات حكومية أسوة بباقى المجلات » !

وسلم الأمر إلى سكرتيره وهو يقول لى : هذا هو العقاب الذى أنزلته بمجلة الرسالة ! . . »

هذه هى الإشارة العابرة التى وردت فى كلمة الأستاذ مصطفى أمين عن مقال الأستاذ الزيات . إنها تعطيك فكرة ضخمة عن كبرياء محمد محمود وعراقة مصريته وأصالة قوميته ، وبقى أن أحدثك أنا عن موقف الأستاذ صاحب الرسالة حديثا يحدد مكانه فى نفسك ويقدم شخصه إلى حكمك وحكم الناس . ولقد دفعنى إلى هذا الحديث أن الأستاذ مصطفى أمين بك قد مر بهذا الموقف مسرعا كما قلت لك وكان يجب أن يطيل الوقوف ، وتعرض له موجزا وكان يجب أن يطنب ويفيض !

لقد نسى الأستاذ مصطفى أمين بك أن مقال الأستاذ صاحب الرسالة كان يدور حول الموضوع نفسه الذى دارت حوله حملة « آخر ساعة » ضد نادى الفروسية وضد الكبراء الذين يتعالون على الشعب ونسى مرة أخرى أن يقول لقرائه إن الزعيم المصرى العظيم محمد محمود قد وقف من الأستاذ الزيات نفس الموقف الجليل النبيل ، حين طلب إليه أن يقدمه إلى القضاء فرفض هذا الطلب فى إصرار وإباء ... ونسى مرة ثالثة أن يقص على قرائه قصة نادى الفروسية التى ألهبت شعور الزيات وأثارت قلمه وأخرجت إلى الناس أعظم مقال كتب فى تاريخ الكرامة المصرية ! !

لقد حدث أن ذهب المغفور له محمد محمود باشا يوما إلى نادى

الفروسية وهو رئيس للوزراء عام ١٩٣٩ ، فوقعت عيناه على لوحة معلقة على الباب الخارجى تحمل إلى الزائرين هذه الكلمات : « ممنوع دخول الفلاحين » . . وثار الزعيم العظيم وهتف وهو يدق الباب بقدمه ويفتحه على مصراعيه : « إن حكومة جلالة الملك لا يمكن أن تسمح بإعادة نظام الطبقات . نحن هنا فى بلد ديمقراطى ، وكل المصريين سواء ، وجلالة الملك يضرب كل يوم أعظم الأمثال فى ديمقراطيته ومصريته . أنا فلاح وابن فلاح ، وأفخر بأن أكون كذلك ... والفلاح هو عماد هذه البلاد وفخرها ، وإذا كان بين أعضاء (نادى الفروسية) من لا يعجبه هذا الكلام فليرحل عن بلاد الفلاحين » !

نطق محمد محمود بهذه الكلمات فألهب شعور الزيات كما قلت لك وأثار قلمه فأخرج إلى الناس أعظم مقال كتب فى تاريخ الكرامة المصرية . . ولا تظن أننى أجامل الزيات بهذه العبارة الأخيرة أو أغلو فى وصف أثر من آثاره ، ولكنها كلمة حق من قلم لا يعرف المجاملة ولا يطاوع الغلو ولا يفرق فى النقد بين الصديق وغير الصديق ! وإذا بقى فى نفسك شىء من الشك فاقرأ معى هذا المقال الذى أنقله إليك من الصفحة الحادية والستين من المجلد الثانى من كتاب « وحى الرسالة » ، هناك حيث يبرز لك الزيات على حقيقته من وراء السطور والكلمات :

« جلست كعادتى فى عصر كل سبت أفكر فى موضوعى الأسبوعى للرسالة ، فتردد على خاطرى المكدود معان شتى من وحى الساعة وحديث الناس وحواز القلوب ، كمأساة جلحول فى فلسطين ، وصلة الجديد بالقديم فى الأدب ، فكنت أذودها بالفتور والإهمال ، لأن معنى من المعانى القوية كان قد استبد بذهنى منذ الصباح ، فهو يراوده ويعاوده ويلح عليه حتى لم يكن من الكتابة فيه بد . ذلك هو بيان رئيس نادى الفروسية الذى بعث به إلى « الأهرام » وطلب إليها أن تنشره فى عدد اليوم . والذى استفزنى من هذا البيان لهجته المتنفخة فى الرد على رئيس الوزراء ، والدفاع الظنين عن نظام الطبقات ، والتفسير الجازف لكلمتى الفلاح والديمقراطية ، والتلميح المتنزل إلى السامية والطورانية ، فإن هذه مسائل دقيقة ما كان له أن يعرض لها بهذ الاستكبار فى بيان دفاعى يخرج فيه من التنصل أو الاعتذار إ

لست والحمد لله من طبقة أولئك المنادين إلى هذه (الكلمات) التى تتضاءل فيها الديمقراطية بين أرستقراطية الدم أو المال أو المنصب ، فلا أزعم أنى سمعت الأشداق اللوية تأمر ، ورأيت الأنوف الوارمة تمتعض ؛ ولكنى قرأت كما قرأ الناس ثورة رئيس الشيوخ وزأرة رئيس الحكومة ، فعلمت والأسى يحز فى الصدر أن بعض الذين جعلناهم عظماء و كبراء لا يزالون على عقلية ذلك التركى الفقير الذى كان يقرع الأبواب مستجديا، فإذا أجابه المجيب الفزع قال له فى عنف وصلف وأنفة : « هات صدقة لسيدك محمد أغا » . ولا أدرى ما الذى سوغ لهم أن يعتقدوا أن الله خلقهم من المسك للملك ، وخلقنا من الطين للطين ، وجعلهم للثروة والسيادة ، وجعلنا للخدمة والعبادة ؟ إن كانوا مسلمين فالإسلام قد محا الفروق بين الطبقات إلا البر والتقوى ؛ فالعرب والعجم سواء ، وقريش وباهلة أكفاء . وإن كانوا وطنيين فالوطن لا يعرف التفاضل بين أبنائه إلا بأثرهم فى تقويته وترقيته وخدمته ، فالفلاحون على درجته العليا ، لأنهم عماد ثروته وعدة دفاعه وقوة سلطانه ، والكبراء على درجته السفلى ، لأنهم فيه معنى السرف الذى يفقر ، والترف الذى يوهن ، والبطالة التى تعيث ! وبين هاتين الدرجتين تتفاوت مواقف الوزراء والزعماء على حسب ما لكل منهم عليه من فضل

لا يا سيدى الأمير ! ليس نظام الطبقات هو القائم فى مصر وأوربا كما تقول ، فإن جعلك نفسك ونظراءك طبقة متميزة لها حدودها الأربعة وجهاتها الست لا يجعل نظام الطبقات حقيقة واقعة . إن مصر كلها من أعلى شلالها إلى أسفل دالها طبقة واحدة ، فيها الغنى والفقير ، والمالك والأجير ، والصحيح والمريض ، والعالم والجاهل ، فهل تجعل كل حال من هذه الحالات طبقة ؟ وهل تستطيع أن تبين لى الفرق بين طبقتك المرفوعة وطبقتنا الموضوعة إذا كان الدستور الذى تخضع له الطبقتان يستطيع أن يجعل ابن الخادم الذى ينظف لك الحذاء جليسك ورئيسك ؟ لقد كان امتياز طبقتك على طبقتنا أنك تمسك الكرباج ونحن نمسك الفأس ، وتأكل الذهب ونحن نأكل التراب ، وتعبد الشيطان ونحن نعبد الله ، وتتكلم اللغة الأجنبية ونحن نتكلم العربية . فلما قيض الله لمصر العظيمة

فؤادنا العظيم فتزوج منا وحكم بنا وسمى لنا ونشأ على خلائقه المصرية المحض شبله الموموق « فاروق » ، شعرنا بأن العرش يستقر على كواهلنا، والعلم يخفق على ممالكنا، والسلام الوطنى يتردد فى شعورنا ، والحكومة تقوم بأمرنا ، والنيل يجرى بخيرنا ، ورأيناكم حين أخذكم — رضوان الله عليه — بأدب الإسلام والشرق لذتم بأطراف الغربة ، وقبعتم فى زوايا العزلة ، وكنتم من مصر وثروتها مكان البالوعة تطفح بعرق الفلاح ودمه لتصب فى مناقع البلدان الغربية !

لا يا سيدى الأمير ! ليس المصريون فى الجنسية والوطنية بمنزلة سواء ، فإن منهم من تمصر بالقانون لا بالأصالة ، وتوطن للمنفعة لا للعاطفة . وكيف يستوى فى ميزان الوطنية من يقف على مصر يده وقلبه وكسبه ودمه ، ومن لا يعرفها إلا معرفة الغرماء ، ولا يعيش فيها إلا شهور الشتاء ، ولا يعنيه من أمرها إلا أجرة العامل وسوق القطن ! كذلك ليس من خالص الحق قولك : « إن حق الشخص فى الانتساب إلى أمة إنما يناله بما يؤديه إلى وطنه من الخدمات سواء أكان ذلك بنفسه أم بأفراد أسرته من آبائه وأعمامه وأبناء أعمامه وأجداده وأجداد أجداده » . فإن أموال أبيك لك ، ولكن أمجاده له . والوطنى الصميم هو الذى يرفع ما بنى أبوه ، ويتمم ما بدأ جده . ولا ينفع المرء عند الوطن أن أباه وطنى وهو خائن ، ولا عند الله أن أباه مسلم وهو ملحد !

أيها الكبراء والعظماء ! إن لكم فى سيدكم الفاروق أسوة حسنة . فخذوا إخذه الجيل فى سيرته ومصريته وشعبيته ودينه ، فإن ذلك يكفل لكم رضا الشعب فى الدنيا ورضا الله فى الآخرة » !

هذا هو المقال الذى ظهر فى « الرسالة » منذ اثنى عشر عاما فكان له فى النفوس وقع وفى الآذان دوى وفى القلوب مكان .. واليوم حين تدعونى المناسبة إلى إثباته ، أشعر شعورا عميقا بأن من حق الزيات على أن أخفض قلمى تحية لمصريته ، وكرامته . وأقسم أن هذا الشعور ليس مرجعه إلى أنه صديق وإنما مرجعه إلى أنه « مصرى » . . وأعظم بكل مصرى ولو كان خصما من الخصوم !!

إلى الشاعرة فدوى طوقان :

إذا قلت لك إنك من هذه الفئة القليلة التى تملأ نفسى اطمئنانا على حاضر الشعر العربى وتذهب بأكثر ما فيها من قلق على مستقبله ، فانظرى إلى هذا القول على أنه تقرير لحق وتصوير لواقع ، ولا تنظرى إليه على أنه مجاملة لآنسة شاعرة وقصيدة مهداة . . لقد تفضلت فأهديت إلى قصيدتك الحالمة فى العدد (٩٤٤) من الرسالة ، وأنا إذ أتقبلها شاكرا فإنما أغترف الشكر من منابع تقديرى لشعرك . وما أكثر دواوين الشعر التى يهديها إلى شعراء « كبار » فلا يسمعون منى كلمة شكر ، لأن الشكر عندى أساسه التقدير ، ولأن التقدير عندى مبعثه الإثارة النفسية التى يلهب بها الشعور كل فن جميل !

إن قصيدتك لتذكرنى بأننى مقصر فى حقك وحق شعرك لأن للفن الجميل حقوقا على النقد يجب أن يؤديها بإخلاص ويرعاها بأمانة . ولست أدرى كيف شغلت عن حقوق فنك وأنا حريص على حقوق الناس .. مهما يكن من شئ فإن بوسع النقد المرتقب أن يستدرك ما غفل عنه الأمس الغابر واليوم المشهود . وأشهد أن شعرك جدير بأن يحتل من تاريخ الأدب مكانا ملحوظا وسطورا مشرقة . وأشهد مرة أخرى أن هذه الكلمات خالصة لوجه الحق وحده دون سواه ، وليس مرجعها إلى مجاملة الآنسة الشاعرة وقصيدتها المهداة !

تذكرنى قصيدتك بهذا كله ثم تعود فتعصف بالوجدان وهى تقدم إلى قصة « لاجئة فى العيد » ، لاجئة رسمت ريشة الشعر قصة بؤسها على لوحة الشعور ، شعور فدوى الإنسانة وفدوى الفنانة ... فدوى التى تقول فى هذه الأبيات وتزفرنى هذه الأنات :

أختاه هذا العيد عيد المترفين الهانئين
عيد الألى بقصورهم وبروحهم متنعمين
عيد الألى لا العار حركهم ولا ذل المصير
فكأنهم جثث هناك بلا حياة أو شعور
أختاه لا تبكى فهذا العيد عيد الميتين !

أجل يا فدوى إنه عيدهم ، عيد هؤلاء الذين عنيتهم بهذه

الكلمات يوم أن تحدثت منذ شهور عن مأساة اللاجئين ، وأطلقت هذه الزفرة المحترقة على صفحات الرسالة :

« قلت مرة إنني كفرت بالضمير الإنساني ، كفرت به حين كفر هو بكل وشيجة من وشائج الإنسانية وكل خليقة من خلائق الأحياء ، حين تكون تلك الوشائج مجموعة من المشاعر والأحاسيس ، مشاعر الدم الواحد واللغة الواحدة والتقاليد الواحدة ، وأحاسيس الأخوة والمروءة والجوار !

قلت هذا فاعترض بعض الناس ، وحجتهم أن الضمير الإنساني لا يزال بخير ، في هذه البقاع الطيبة التي عنيتها بكلمات رسبت في نفسي رسوب اليقين — هم ينظرون إلى الجزء وأنظر أنا إلى الكل ، ويحكمون في ضوء الفرد وأحكم أنا في ضوء المجموع ، ويتكلمون عن الضمير الإنساني من زاوية ضيقة ينحصر فيها فلان وفلان من عشاق الخير وصناع الجميل ، وأتكلم أنا عن الضمير الإنساني في صورته الكاملة الشاملة التي تمتد إلى أكبر عدد من أقطار المروءة !

إن الضمير الإنساني في هذه البقاع الطيبة وبهذا المعنى الذي رميت إليه قد مات … ولو كان حيا لما سمح لنفسه بأن يطيق منظر الموت البشع وهو يحصد بمنجله الرهيب جموعا من الأحياء شردهم الظلم والطغيان فهاموا على وجوههم في كل واد وكل فلاة : بطونهم خاوية ، وأجسادهم عارية ، بينما شبعت الكلاب وما كنست الأضرحة واطمأنت إلى المأوى الأمين أخس أنواع الحشرات !

وأتطلع إلى هؤلاء المشردين الذين أضنام البرد وقتلهم الجوع ولفح شعورهم الهوان ، ثم أتذكر أن هناك غيرهم ممن أنعشهم الدفء ، وضاقت بطونهم بالتخمة وامتلأت نفوسهم بالأمان … أتطلع إلى هؤلاء وأولئك ثم أخرج من جولة الفكر وفورة الأسى بهذه الحقيقة ، وهي أنني لا أملك لهؤلاء الجياع المراة غير هذا القلم ! وماذا يجدي القلم يارب وهناك من ينتظر الثوب الذي يستر الجسد ، واللقمة التي ترد عادية الجوع ، والقطرة التي ترطب حرارة الظمأ ، والوطن الذي يشعر بكرامة الحي ويعبر عن جمال الحياة ؟!

وماذا يصنع القلم وهو لا يجد ما يهديه إلى هؤلاء الجياع العراة غير هذه القروش الفكرية ؟ ومن يخاطب وقد مات الضمير الإنساني عند حراس الخزائن وملاك الضياع وسكان القصور ؟ إننا لا ندعو إلى الشيوعية ولكننا ندعو إلى الإنسانية ، الإنسانية التي تصرخ في وجه هؤلاء جميعا بأن في أموالهم حقا لكل فقير وكل جائع وكل محروم ، وتقول لكل واحد منهم في همسة إن لم تكن جازعة فهي ضارعة : تنكر للغتك إذا شئت ، ولمروءتك إذا أردت ، ولقوميتك إذا أحببت ؛ ولكن . . ولكن لا تنس أنك إنسان !

إنها قروش فكرية كما قلت ، وحسبي حين أجود بها أنني أجود بخلجات النفس وخفقات القلب ودفقات الوجدان . حسبي هذا ، وحسب اللاجئين أن يتقبلوها على أنها نفحة من نفحات الألم ، فيها من مشاركة الشعور ما يقوم مقام العزاء ، حين يضيع كل أمل في الضمير الإنساني ويخيب كل رجاء » !

لحظات مع أندريه جيد :

قارئ من قراء الرسالة يسألني : لماذا لم تكتب « الرسالة » كلمة واحدة عن الكاتب الفرنسي أندريه جيد بعد أن أصبح في ضيافة الخلود ؟ لقد كتبت مثلا عن برناردشو مقالين تعرضت في أولهما لشخصيته الأدبية والإنسانية ، ثم تحدثت في الثاني عن موقفه من الرأسمالية . . ترى هل يستحق شو أن تكتب عنه كلمتين ولا يستحق جيد أن تكتب عنه كلمة واحدة ؟

وجوابي عن هذا السؤال هو أن مكانة أندريه جيد في نفسي لا تقل عن مكانة برناردشو على التحقيق . . وإذا كنت حتى الآن لم أكتب عنه فليس معنى ذلك أنني صرفت القلم عن الكتابة أو صرفت الذهن عن التفكير فيه . وأزيد على هذا أن أقول للأديب الفاضل صاحب السؤال : لقد كانت لفتة جميلة منك أن تذكرني بهذا الواجب الأدبي الذي تسأل عنه « الرسالة » ويسأل عنه كاتب هذه السطور ؛ وهو واجب لم أغفل عنه وإنما أرجأته إلى حين ، وقد يكون هذا الإرجاء إلى الأسبوع المقبل أو الأسبوع الذي يليه !

أنور المعداوي



عرض ونقد :

العقل المؤمن

تأليف الأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

للأستاذ بركات

— ١ —

ذلك – أيها القارئون – قبس له وهج ونور ، آلى على نفسه الكاتب – أن يقف به لا يريم ، في مختنق الدروب ، وملتقى السبل . يجمع الساربين السكارى على حجة الله ، وصيحة الكون ، ويود في إخلاص لو تنشق له كل نفس ليواقف فيها أصل الفطرة وروح الطفولة ، ومنطق البراءة « إن الاسلام دين الطبيعة ، ولو لم يكن دينا موحى به لكان المذهب العقلي الفلسفي الوحيد الذي يجب اتباعه وحمل العقل عليه لاحترام النفس ، والاحتفاء بالحياة العاجلة والاطمئنان إلى المصير السعيد »(١) .. وإن طوفة تعطف بالمرء على كل فصل في رفقة الأستاذ عبد المنعم خلاف – لكفيلة باستقرار وجدانه ، وهدوء نفسه

لقد سحق القلق قلوبا حتى ذرها رمادا في الهواء ، ومن هنا ضاقت مسارح الإنسانية بين فكي القنوط ، وسار الأمل كله ثارا على مرتكز بعيد في أغوار المستقبل هو : الإنسان الكامل ، وبين يدي ذلك اليأس الكافر هوت قيمة الفرد وصار معبرا وطريقا إلى الغائب المنشود ، وكأنه مسمار في باب ، أو خيط في ثوب ، ولكن العقل المؤمن بسناه النافذ يكشف الغمة ، ويطارد تلك الظلمات « تقول بعض الفلسفات إن الحل لهذه المشكلة هو في القول بالامتداد المستمر في الأفراد الآتية من النوع . فالكمال الذي ينشده الأفراد ويحلمون به سيتحقق في النوع . وكأن الإنسانية في خيال هؤلاء هي المعنى الواحد في الأفراد . أما أجسام الأفراد فهي أثواب تنضوها الإنسانية في الأجيال المتعاقبة وتلقيها جثثا ميتة على طريقها إلى غايتها .. ولكن في هذه الفلسفة إهدارا تاما للفرد وارتدادا بالإنسانية إلى أفق واطئ جدا هو أفق النبات والبذور ، دع عنك أفق الحيوان ؛ ونظرة واحدة إلى إخراج الأفراد من الأرحام بصور متعددة الوجود وشكول مختلفة في العقول والنفوس – وهذا في الإنسان فقط – تحملك على الجزم والاعتقاد بأن القصد في الطبيعة متجه إلى خلق الفرد بالذات ، وإحساسه على انفراد بالحياة التي فيه هو ، وأنه مخاطب وحده مباشرة من خالق الوجود »(٢) وهكذا نصل الى المنتهى فنجد الفلسفات الداكنة قد دقت بالمطارق حتى مادت الأرض. وجملة ما يمكن أن يقال من كتاب « العقل المؤمن » هو أنه استجابة صادقة لقول الخالق الأعظم .. « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » ورحمة الله على أبي اسحق(٣) فقد قال .

ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

— ٢ —

بقيت كلمة . .

يقرر المؤلف وهو مندفع في غمرة الحماس « أن الإنسانية القديمة (٤) أصدق من الحديثة إحساسا ، وأحيا شعورا . . حين شغلتها المسألة الدينية في جميع مواقفها ، وجعلتها تنسى شؤونها المادية ، ومهما شعورها الديني (٥) » وكلنا يعلم أن الدين في معتقد الأقدمين غفلة وذل ، ولعل الهرم أعظم برهان يقدم دليلا وشاهد إثبات على هوان الرعية وتجبر الرعاة ، وتواضع الشعب وسطوة الحاكم ، وكان كل ذلك باسم الدين ، والخير عندي أن يتمرد (إينشتين) أبو الذرة فيقول : « ما هو الله ؟ . . سؤال

(١) ص ٢١

٢) ص ٥٣
٣) كنية أبي العتاهية
٤) يعني البدائية
٥) ص ٢

ليس له معنى (٦) » من أن توصر أجيال السالفين بالأديان في خدمة الكهنة والمتألهين

وفي مكان آخر بعد الذي مضى يقول « وقد كانت عقول قدمائنا حتى عقول بعض الأنبياء لا تدرك عمل الله سبحانه في التكوين والإحياء ، وتتوهمه سبحانه خاضعا في عمله « لوسائط والأدوات والكيفيات المادية » (٧) ولعل الكاتب الكريم لا يخالفني في أن النبي هو الصورة المثلى للإيمان ، وهو كالعبقري شاذ في الطبيعة يستند في تفوقه الإلهامي إلى الوحي ، وفي قدرته الخارقة إلى المعجزة وما يحمله عرض المؤلف من معاني هو كل ما يأتي النبي لهدمه وطرده من عقول أمته . وإذا كان المؤلف قد أتى بطائفة من آيات القرآن المحكمات فرجاؤنا أن يبحث لها عن تفسير غير تفسيره يكن أسلم

* * *

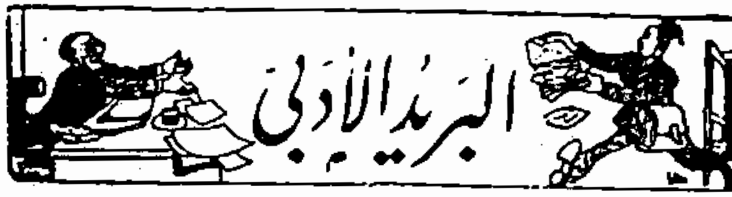
وكتاب اليوم هو الأخ الثاني لسفر (٨) تقدمه وأحدث ضجة كنا نتتبعها بشغف في سنة ١٩٤٦ وكلاهما يسير على صراط واحد نحو أساس روحي للحضارة المادية.. وسيتلوهما ثلاثة ينتظمها المنهاج : والذي أبديت في سالف القول لا ينال من هذا الكتاب القيم وفي اعتقادي أن في صدر ملاق المؤلف رحبة فسيحة للرأي فيها مكان . وسلامي عليه

برهان

٦) من حديث له بجريدة المصري يوم ١٦ يونيه ١٩٥١

٧) ص ١٨

٨) هو « أومن بالإنسان »



ملامح من المجتمع العربي !

بهذا العنوان أصدرت دار المعارف كتابا جديدا من سلسلة « اقرأ » للأستاذ محمد عبد الغني حسن المدرس بكلية البوليس الملكية ، وقد جال فيه الأستاذ جولات موفقة في صميم المجتمع العربي في جميع عصوره، بل أحسن الاختيار في تبويبه وصياغته وما فيه من حقائق أفصح عنها المؤلف بقوله « فلن أذكر لك في هذه الصفحات إلا حقائق قرأتها لك في عشرات من الكتب، وألفت بين موضوعاتها نسبا ، فضممت الفرع إلى أصله . وقرنت الشبه إلى مثله ، وكنت أقيد لك كل صيد من الحوادث بقيد من الكتابة ، حتى إذا اجتمع لي من ذلك — على فترات من الزمن — مادة صالحة لأن أقدمها إليك تشجعت على أن أختارك معي رفيقا في رحلة ممتعة كل المتاع على خلال العصور ، فترى معي ألوانا من المجتمع العربي بعد الفتح الإسلامي . »

فلنترك الأستاذ يقص علينا من ملامحه اللطيفة الممتعة حتى نصل إلى ص ١٠٨ من كتابه المذكور فنراه قد استشهد ببيت من الشعر في غير موضعه أثناء عرضه لعادة النقوط ؛ تلك العادة المنتشرة بيننا إلى الآن ولها صولة ودولة خصوصا في صميم الريف المصري ، إذ قال « ... على أن العروس نفسها كانت تنقط كما يدل عليه قول الشاعر :

هذي عروس الزهر نقطها الندى
بالدر فابتسمت ونادت معبدا . . . »

والقائل لهذا البيت يصف زهرة نبات لا زهرة إنسية ، وإذا فليست هناك مناسبة بين عروسنا الآدمية في نقوطها المعروف وعروس الزهر وقد نقطها الندى بالدر سوى التشبيه (١)

والمعروف أن هذا البيت ضمن أبيات للشيخ نصيف اليازجي المتوفى سنة ١٨٧١ م في وصف الرياض والزهر : —

هذي عروس الزهر نقطها الندى
بالدر فابتسمت ونادت معبدا
لما تفتق سترها عن رأسها
عبث الحياء بخدها فتوردا
فتح البنفسج مقلة مكحولة
غمز الهزار بها فقام وغردا

ولا ينكر ما يبذله صاحب الملامح النقادة من جهد مشكور يقدره الأدب والأدباء سواء فى تآليفه أو نقده

هذا ونشكر الأستاذ أن أتاح لنا فرصة الحديث عن كتابه مع قبول تحيتى وإعجابى

شطانوف **محمد منصور خضر**

(١) (الرسالة) فى عروس الزهر استعارة ، وفى قطها تورية معناها القريب التقوط ومعناها البعيد المراد قطع الندى. ولولا أن تنقيط العروس كان معروفا لما خطرت هذه التورية ببال الشاعر

دولة الانفعالات الفكرية القائمة فى مصر الآن

ليس من الحكمة أن ينظر بعض من يهمهم أمر هذه الأمة بعين الريبة والشك الى الانفعالات الفكرية القائمة فى مصر الآن فيحيطوها بشىء من الحذر والحيلة السياسية ، ويعملوا على حصرها فى داخل الدائرة المرنة ظنا منهم أن هذه الانفعالات مقدمة ثورة أو انقلاب ، وماهى فى الواقع إلا نتيجة شعور بالحسرة والخيبة والألم ، ودليل طموح الى غايات سامية يرمى فى جلتها الى تحقيق ما يحلو من الآمال ودفع ما يحز الشعور

لقد كانت عنايتنا بالمسائل الحزبية والحركات السياسية داخل بلادنا فى ربع القرن الأخير أكثر من عنايتنا بالملاقات الاجتماعية والحركات الإصلاحية . وهذه هى علة ضعفنا وسقوطنا فى ميدان الكفاح وإخفاقنا فى إحراز المثل العليا فى الحياة

وإن المنطق التاريخى للوطنيات الواعية ليدعونا إلى ترك الخلافات ، ونبذ الخصومات وتناسى الأحقاد ، والتباعد عن الأثرة والأنانية ، وبذل أقصى الجهود وأسدها لإقامة المجتمع المصرى على أسس قوية متينة من الإيمان بالوطن والعلم بماضيه وحاضره ، والعمل الذى يلبى نداء الوطن ويقضى حقوق المواطنين فيه

ويدعونا أيضا ذلك المنطق إلى احترام هذه الانفعالات الفكرية المنبثقة عن تنبه شعور الأمة بثقل وطأة الاستعمار وتزايد إحساسها بما نالها على يديه من ضيم وإجحاف وهوان . وشعور الأمة هو كل حياتها القومية والاجتماعية

كما أنه يدعونا بعد ذلك إلى الانتفاع بهذه الانفعالات واستغلالها استغلالا حكيما للخلاص من مخلفات الماضى البالية ، والقضاء على معالم البؤس والشقاء البادية . ولا يمكن ذلك إلا إذا اتحد الزعماء والقادة ، وتجمع المفكرون والمصلحون تحت راية توحيد الأهداف ووسائل الإصلاح وتوجيه الرأى العام وجهة الخير والفلاح

سرابيوم **محمد يوسف الغزالى**

الشيخ راغب الطباخ الحلبى

توفى فى رمضان سنة ١٣٧٠ عن ٧٨ سنة . كان يحترف التجارة أولا ثم أكب على العلم فتلقاه عن كبار العلماء كالشيخ محمد الزرقا والشيخ بشير الغزى . ثم تخصص فى التاريخ والحديث والتراجم . وألف كتابه الثمين (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) فى سبعة أجزاء ، ولبث فى جمعه وتدوينه نحوا من عشرين سنة

كان يدرس فى الكلية الشرعية فى حلب علم الحديث والمصطلح والتاريخ الاسلامى ؛ ثم اختير مديرا لها . ومن تلامذته الشيخ مصطفى الزرقا والشيخ محمد الحكيم والدكتور معروف الدواليبى — رئيس مجلس النواب السورى اليوم — وغيرهم

وهو من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق ، وله فى مجلته مقالات كثيرة . وعنى منذ نحو ثلاثين سنة بنشر كثير من المخطوطات فى الحديث والفقه والأدب وغيرها . برد الله مضجعه وعوض الأمة الاسلامية عن فقده خير عوض

عبد اللطيف الطباخ